31
الذات، والهوية، ومبادىء الحرية

بقلم: الأستاذ محمد المهدي المهري

يعتبر الخطاب حول مسالة الذات والهوية، من أعقد المسائل الفكرية وأكثرها احراجاً، خاصة، إذا ما تعلق الأمر، بـ«ذات» خاوية من الهوية، أو مهتزة الهوية، أو تابعة لذات أخرى، أو في حالة عطالة وركود، أو تقتضي المزيد من الدعم. عند ذلك يكون الخطاب مقلقاً ومثيراً ويطلب الدقة والحذر. لأن الإنسان تسكنُ ذاته المفارقة والتناقض: فهو من جهة مجبول على التكيف مع أوضاعه الراهنة، إلى الحد الذي يصير فيه مستأنساً بالبؤس والجهل والجبن والخضوع والذل...، بل قد يستمتع بذلك ويحنّ إليه إذا ما فارقه. ثم انه من جهة ثانية يطمح إلى التجاوز، والتغيير، وتحسين الحال، والتطلع إلى حياة عزيزة كريمة...

غير أن هذه الحياة التي يرنو إليها تستوجب استقلالية القرار وحرية المبادرة. والحرية هي حمْل ومسؤولية تقتضي بدورها التضحية والمكابدة والعمل المتواصل واليقظة والحذر... والحرية أسمى من كل موجود، وأسمى من الانسان، لأنه إما أن يكون حراً أو أن يكون تابعاً لمن هو حر، وليس له خيار آخر، أما الحرية المطلقة فهي إرادة الله المطلقة، وهذه الاطلاقية هي التي تجعل من الحرية ممكنة لكل موجود ممكن.

والحياة الحرة ــ المقصودة ـ، لا يفقهها إلا الانسان الحر، وحتى وإن أحاطت به الضرورة من كل جانب، لأن إرادته في أن يكون حراً، تُلقي به في المستقبل، وتضع ماهيته أمامه، وسواءٌ عليه، أبلغ هدفه أو لم يبلغ. لأن اتخاذه من إرادته مسكناً، هو كاتخاذه فوق بحر العبودية مركباً، فلا هو يستغني عن البحر ولا هو يغطس فيه، ولكن يبق أمله في النجاة إلى الساحل قائماً، حتى وإن لم يدرك النجاة.

أما «العبد»، فهو لا يتعقل الحرية من ذاته، التي هي ذاتٌ بالإضافة ـ، وإنما لا صلة له بها إلا عبر غيره، فيفهمها على أنها حرية تُقتدى، فما يزيده هذا الفهم إلا انتكاساً في العبودية. فمثل هذا العبد الذي يمسك بحرية الأحرار ويستنجد بها، كمثل المحارب المغفّل، الذي إذا افتقد السلاح، ورأى سيفاً موجهاً إلى صدره، أسرع في الإمساك بشفرته وجذبه بقوة إليه، فأضاف بذلك إلى قوة الاندفاع قوة الجذب، ظاناً ـ منه ـ أن إرادة الآخر يمكن أن تكون شركة بينهما... وليس غريباً أن يدّعي مثل هذا «الشخص» الانفتاح... ولكن، أي انفتاح هذا، الذي يجعله يسكن بيتاً بلا نوافذ، بل بلا أبواب، بل بلا حيطان، بل بلا سقف..!!؟ أبيت هذا!!؟ أم «انفطاح*»؟! (مركب من انفتاح / انبطاح). غير أن البيت الحقيقي هو أن يسكن الإنسان ذاته، وينطلق من ذاته، وهذه هي الهوية، أما إذا أصبح الإنسان يخاف ذاته ويخشاها فذلك يعني أنها مسكونة من الخارج، أو أنه خارج سكناه، أو أنه لا يتحكّم في ذاته.

I ـ الذات والهوية وماهية الإنسان «الفردية»:

تعني «الهوية» في دلالة عامة، أن تفعل الذات من ذاتها، **بذاتها، ولذاتها: أن تفعل من ذاتها**، يعني، أن تستند في فعلها إلى حوافزها الذاتية، **وتستغل مكوناتها الخاصة.**

أن تفعل بذاتها، يعني، أن لا توكل مهامها، وشؤونها إلى غيرها، ممن يمثل آخر بالنسبة إليها كذات، بل أن تضطلع بمسؤولياتها باستقلالية وبحرية طبقاً لمبدأ الأصلح بالإضافة اليها كمسؤولة.

أن تفعل لذاتها عندما تنتفع بكسبها، وتتخلص من كل ارتباط يُهينها ويخضعها، ويسخرها لخدمة غيرها، وأن تكون الغاية من فعلها دعم ذاتها في وجودها وأمنها واستقرارها.

يحيلنا هذا القول مباشرة إلى ضرورة التمييز بين موضوعات مختلفة وبين ثنائيات متقابلة: 1) التمييز بين الذات وتابعها، 2) وبين الذات ومكوّن من مكوناتها، 3) وبين الذات وذات أخرى مقابلة، 4) وبين الذات وموضوعها. ويحيلنا كذلك إلى التفريق بين أصناف مختلفة من الفعل: فإما **فعلٌ** يفيد المساهمة، أو **فعلٌ** يفيد الخدمة، أو **فعلٌ** يفيد الاستخدام، أو **فعلٌ** يفيد الحماية، أو **فعلٌ** يفيد المدافعة،

أو فعلٌ يفيد الصهر والتفكيك، أو يفيد الهضم والاستيعاب، أو يفيد الإعدام والإبطال.

وكذلك يمكننا أن نميز في الذوات بين من هو حرّ ومن هو عبد، ومن هو حر بالمساهمة في فعل حر، ومن هو عبد الحر، ومن هو عبد العبد، والأداة أو الآلة.

وتعرّفُ الذات المستقلة عموماً، بأنها إطار تجلّي الفعل المنظم والحر: فإذا قصدنا إلى تعيين مصدر الفعل. قلنا: الذات الحرة، وإذا قصدنا إلى تعيين منتهاه، قلنا: غرضه وموضوعه، وإذا قصدنا إلى تعيين الذي ساهم في تمظهره قلنا: مكوّنات الذات، وإذا قصدنا إلى تعيين من أُلزم بالفعل قلنا: مستعبد ومستخدم. وإذا قصدنا إلى تعيين الذي استخدمناه كواسطة لنقل الفعل قلنا: الآلة والأداة.

وإذا قصدنا إلى تعيين المتقبل للفعل عن عطالة قلنا: المادة. وإذا قصدنا إلى تعيين ما به ينتظم الفعل، وتتحقق به المساهمة قلنا: القانون. وإذا قصدنا إلى تعيين ما به يكون الفعل حراً، قلنا: هويّة. لأن الانسان الحر هو الانسان الذي يفعل من ذاته وبذاته ولذاته. وكذلك تكون كل ذات حرة، سواء كانت فردا بتوسط الاعضاء والأدوات والتقنية. أو أمة بتوسط الحضارة. أو شعباً بتوسط الدولة. أو الإنسانية قاطبة بتوسط «القوانين الدولية».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والإنسان الفرد، بالنسبة لمجموع هذه الذوات، هو الأصل، وهويته هي أصله، ثم بعد ذلك تتوالى، الادوات والشعب والدولة والأمة والحضارة.. الخ. لهذا السبب رأيت أن أعرف الانسان الفرد وأطابقه بهويته من حيث هي مبدأ فعله الذي من ذاته وبالتالي مبدأ حريته.

الإنسان الحر ـ إذن ـ هو طاقة ذات قوة فاعلة بنّاءة، وتتميز هذه الفاعلية بقابليتها الدائمة للتنظيم والتمركز. فهو طاقة لأنه يجدد نشاطه وله قدرة (كأي كائن) على التخزين والتحويل والتصريف. وهو ـ كذلك ـ قوة فاعلة لأن له اتجاهيز في التأثير: يؤثر في المحيط وفي نفسه. أما تنظيمه لهذه الطاقة فيتمثل في التحكم في عملية تصريفها، وفقاً لغاية مرسومة وتخطيط مستقبلي بعتبر المؤثرات الخارجية. أما عملية التمركز فتتجلى ببناء مراكز تتنقل عبرها هذه الفاعلية، وتتحول من خلالها إلى نشاط أشمل وأثبت: فالفاعلية التي تبتدىء بقرار شخصي لذات فردية

حـرة، تنتقل إلى زوجين، فجماعـة، فمـؤسسة، أو منظمـة، فشعب، فـدولـة فأمـة «متحـدة»، فمجمع لاتحاد دول الامـــة،... إلى أن نصل إلى مجمع دولي. فـالتنظيم، وقابلية نشاط الذات إلى التمركز والتأسيس، هو الخاصية والميزة التي تنفصل بها الفاعلية الانسـانية عن غيرها من الفعـاليات الأخرى. فإذا كان النشـاط الحيواني يُنظَّم حسب توجيه غريزي مباشر، الغـاية منه، حفظ الحياة على الكائن الحي، فإن شعور الانسان بأنـه يُنظِّم نشاطه، بتوسط الوعي، يجعل ذلك منه ومن مـؤسساته محطـات لتمركـز القوة، تختلف عن الغـريزة كمحطـة مغلقة لتمـركز القـوة داخل الكيان الحيـواني، تفعل طبقا لمخطط سابق مبـاشر وثابت. فالحاجة إلى إبقـاء حياة الكائن الفرد (أو غريزة الحياة)، هي التي تستخـدمه وتوجهه إلى ما يمكن أن يحفظ عليه النسبـة التي له من الحياة. في حين أن الانســان هو الذي يسرع لنشـاطه، أي يملك القرار في توجيـه فعله. ولكن لا يجب أن يفهم من هذا القـول، أن دور الغريزة غائب تمامـاً لدى الانســان، بل بالعكس، ففعلهـا فيه ــ كما في الحيوان ــ يتصدر المرتبة الأولى، غير أنها في حالـة الحيوان تكتفي بذاتها ككيان فـردي، أما بخصوص الإنســان، فهي تستخدم آليـة المعيار أو «القيمـة» أو القرار أو الحكم والسلطـة أو القانون أو المؤسسة... وذلك لتحقيق التـوازن بين الفردانية من جهة، والاجتماعية: من أفراد آخـرين ومؤسســات ومنظمات.. من جهة ثـانية. فالغـريزة تفعل بـذكاء خارق يتجاوز تقديـراتنا، لأن هذه التقديرات نفسها، التي هـي اجتماعية (وبالتالي صناعيـة)، تقف وراءها هذه القـوة الخارقة لذكـاء الغريـزة، التي هدفها الـوحيد تأسيس الحياة وتمرير فاعلية التأثير.

فماهي آليات الغريزة في بلورة الذات الحرة؟

بما أن هذه الآليـات من صنع الغريزة أي مـرتبطة بقوة فطـرية، فيمكن أن نترجم عنهـا بأنها الهوية، من حيث هي نتـاج الغريـزة، وأداتها في فعلها. والهوية يجب أن تُعرَّف ــ في الحقيقة ــ بالاشارة إلى تلك المكـونات الذاتيـة التي تجعل من الذات مصدر قوة مركزية فاعلة ومنظمة. وعندما نذكر هذا، يجب أن نستحضر في أذهاننا التمييـز بين: الذات القوية والذات التي لها قوة، وتلك التي تكـون قوة بيدي غيرهـا، وتلك التي يكـون الغير قوة بيـديها، والـذات التي تستخـدم الغير كمسلك لتمرر عبره فعلها. كما يجب التمييز في الفعل: بين الفاعل والمنفعل وأداة الفعل وممر

الفعل والمساهم فيه... لأنني لن أقـوم بتحليل كل هذه التقسيمات، وإنما سأتناول موضـوع الذات بالقياس إلى تلك التـي هي حرة، مهملا دراسة الـذوات الأخرى إلا مما يقتضيه التحليل من إشارات وتلميحات ضرورية.

فماهي عناصر القوة في الذات؟ أو كيف تصبح الهوية فاعلة؟

II ــ الهويـــة وعنـــاصر الدفـــع:

تفيد الهوية في تعريف آخر، تطابق الارادة المرتبطة بالغريزة مع الذات التي هي نتاج الغـريزة. وتعود الهويـة إلى ستة عناصر أسـاسية لتحقيق هـذا التطابق ودعم الذات بشحنـة مولدة لقـوة التأثير والدفع وتجديد الطـاقة، وذلك كي يتسنى لنا تحقيق حرية الذات وبالتالي الذات الحرة:

1 ــ تأكـــيد الفردانيـــة:

إن ما يحقق الفردانية هو شعور الذات الإنســانية كذات مفردة ـ (صالح أو زيد، أو عمـرو... أو فاطمة أو خديجة...الخ) ــ بكرامتها، واستقلاليتهـا في تفكيرها ومشاعـرها وقراراتها المرتبطة بحيـاتها الخاصة، والاعتزاز بجنسها (سـواء كانت انثى أو ذكر). والذي يـدعم الإنية هو حماية حقـوق الافراد: من أمن وشغل وأكل وشرب ومـال، ومسكن، و«جنس»... وذلك بـواسطـة قـوانين يقع الاتفـاق عليهـا بالاختيار في نظام ديمقراطي. وتكون هذه القوانين في غاية المرونة وفي اتجاه واحد وهو الدعم المتواصل للإنية في توفير أكثر ما يمكن من الحقوق المذكورة.

والشعور بالإنيـة يدفع بالـذات إلى التشبث بكل الحقوق الفرديـة، وطلبها بصفة مبـاشرة إن أمكن، أو بطرق تـرضاها الـذات لأنها تشرعها. وبالتـالي يكون المجتمع بهيـأته الاجتماعيـة ومؤسســاته، قـد قُدّ وجُعل من أجل الافـراد، وليس العكس. والذي سيُوكل إليـه مهمة التوفيق بين الأفراد ــ كل على حـدة ــ والمجتمع في شكله التنظيمي أو المؤسســاتي هو «القانـون»، الذي لابد وأن يكـون من اختيار الأفراد، وموافقتهم، ووعيهـم بأن هذا القانون، إنما هو مـن صنعهم، يفرض توفير رغباتهم بالطـرق التي تكفل لهم أمنهم، دون أن تسلبهم حقوقهم أو تحيف وتجور على حرياتهم. فالمجتمع إذن بشتى مؤسساته، يجب أن يخدم الفرد في كل حاجياته ورغبـاتـه بتوسـط القانـون، الـذي من شأنـه أن يكفل الأمن بين جميع الأفـراد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأحرار عندما يضعون القانون، يضعونه بمشاركتهم جميعا، ولأجل كل واحد منهم. وحرية الأفراد، هي الوحيدة التي من حقها أن تفرض نوعية وشرعية القوانين وتحدد عدالة تطبيقها عليهم، أما العبيد فالأمر يختلف معهم...

2 ــ العقيدة:

تشتمل العقيدة على كل العادات العقلية، والعرفية، والنفسية والسلوكية،... وتترجمها البنية الروحية للفرد أو المجتمع. وأكثرها سمواً الدين. فهو أعلق بالنفس، وأكثرها تأكداً في الفعل والسلطة والتأثير، كما أنه من أكثر الخصائص تمييزاً للذات وإفرادا لها عن غيرها من الذوات المنتسبة إلى عقائد مختلفة. والدين يربط الارادة الفردية بالمطلق، ويفتح أمامها عالم الإمكان، كما يُسكن الذات في صميم الوجود، ويؤصّل حياتها في عالم الصيرورة، كما يُثبت عَيْنِيَتها: من حاضر وآن ولحظة، في الزمن الممتد إلى اللانهاية. غير أن ما يجب الانتباه إليه، أن الله سبحانه وتعالى، أخذ بيد الإنسان منذ أول أمره، وتدرّج به في مدارج المسؤولية، درجة، درجة، فكلما صعد إلى درجة متقدمة في السلم إلا ومنحه من المسؤولية والفعل الحر أكثر. إلى أن أدرك الإنسان في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مرتبة عالية من الحرية، تمثّلت في التخلص من كل الأشكال المجسّمة للألوهية، والتي كان يستعين بها الانسان في ما مضى، لتنظيم حياته، نظراً لقصور قدراته الذاتية على التنظيم. ولكن عند تحطيم كل أشكال التشخيص اللاهوتي والخرافي، والصعود بالفكر إلى الإله الذي لا إله غيره والذي ليس كمثله شيء. عندئذ أوكل الانسان إلى نفسه، وأعطيت له المسؤولية كاملة في تنظيم حياته وتقرير مصيره. وتغيرت تماماً نظرته إلى الدين، ليصير الدين من أجله بعد أن كان هو من أجله، أي عوض أن تتحول الذات إلى الدين كموضوع خارجي، كأقنوم أو صنم معبود متحجر، ينجذب اليه الناس ويُذبحون على مصطبة الموت قرباناً له، يتحول الدين إلى الذات، فيتّحد بها ليصير ذاتاً، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان قرآناً يمشي على الأرض، ولم يمنعه ذلك من أن يعيش حياته بكل ثقلها فتزوج النساء، وكان يجوع ويشبع، ويتجول في الاسواق، ويجالس الفقير والغني ويسمع منهما، ويضحك ويغضب، ويحارب ويسالم، ويتاجر... الخ. وكذلك عوض أن ينصهر الفرد في المجتمع باسم الدين، يحفظ له الدين حريته وكرامته، مهما كانت أفكاره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومهما كانت ديانته.

فالدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي اهتم بالحياة في كل أنحائها وقدّرها وقدسها: اهتم بالتجارة، بالأحوال الشخصية، بالمنافع والحاجيات والرغبات، بزينة الحياة الدنيا، بالقيم والأخلاق، وبالسير وعلاقة الناس بعضهم ببعض، وبالتربية... فالإسلام (ككتاب وسنة) زاخر بالعطاء، محبٌ في الحياة، مقدرٌ لغرائز الإنسان العاطفية والجنسية، مكرّمٌ لطبيعته البشرية (بما هي كذلك)، فهو يكشف لنا من بشريتنا ما لسنا نراه اليوم فينا. ليس هناك مقدس ومدنّس في الإسلام، بل هناك ما هو منظم مقنّن وما هو غير منظم. فكل منظم ومقنّن فهو مقدس، وما ليس بمنظم يجب تنظيمه. فالدنيا كما الآخرة مقدسمة، إذا أخضعناها للتنظيم والتقنين وراعينا فيها الكرامة الإنسانية. علينا أن نتفطن إلى هذه الخصوصيات في الدين الاسلامي (قبل فوات الأوان)، ونُصلح من «الفكر» الاسلامي، الذي شوّهَهُ الفكرُ المسيحي / اليهودي، فحسبْنا ـ غلطاً ـ أن الدين ما هو الا اعراض عن الدنيا والزهد في متاعها، والانجذاب الارادي إلى الموت العقلي والنفسي والجسدي...، وبالتالي معاكسة غريزة الحياة، التي بالأولى ان تكون هي القطرة التي ينعكس عليها الدين الصحيح، فيترجم الوحي غامضها ويبين طرق تأكيدها، لأن الدين هو الذي يحقق الوعي بهذه الفطرة وبالتالي يحقق الوعي بالذات، ولا يخفى على أحد حكم الاسلام في من يقتل نفسه هروباً من هذه الحياة، أو من يترهب ويتجنب متع الدنيا. فلننزع إذن السواد عن الدين ونغطيه بحلة من الجمال والبهاء هي كساء الحياة. وعلينا أن نحرم قراءة القرآن في المناسبات المشؤومة وعلى الموتى، وأن نقرنه في الذاكرة لدى الصغار والكبار، بمناسبات سعيدة أو بمناسبات تدفع إلى البطولة والتضحية والاستبسال في حماية الذات والحفاظ على الحياة الكريمة الحرة. ويجب أن نحول الحياة الدنيا الى جزء من الدين كما نحول الدين الى حياة معيشة تقدر ذاتها بكل ما فيها من نشاط وحيوية. وعوض أن نبتذل الدنيا ونحتقرها ونسلّمها إلى من احتال في اغتصابها، نرتفع بها إلى مستوى القداسة والسموّ، ونسعى إلى الأخذ بكل جوانبها، ونطالب بحقنا فيها، وبتجربة حياة الجنة عليها، حتى يُيسر لنا ذلك، السلوك إلى الآخرة ممتلئين بكل ما فينا من بشرية، اتخذت من دينها في دنياها مسلكا لاخراها. فالمؤمن الذي يهرب من دنياه هو المؤمن الذي أخطأ الطريق في السلوك إلى أخراه، أما المؤمن الذي يسترشد

إلى جمال الله بجمال الدنيا وزينتها، ويعتز بحريته وباستقلالية إرادته لأنهامتصلان بإرادة الله المطلقة الحرية،فيعبد الله حامدا شاكرا، عزيزاً قوياً، آخذاً بأسباب الدنيا والدين، لا عن خوف ورعب من المرتقب، بل عن علم وثقة في الله، هذا المؤمن أفضل بكثير من ذلك «المؤمن» التعيس البائس، الميت ـ الحي، الذي لا يرى الإيمان إلا في أسود اللحي أو أسود الثياب أو فرض سُور (وما أنزل الله به من سلطان) بينه وبين شطره الآخر، هروباً من الفال والبياض والجمال، نزوعاً إلى الحزن والتشاؤم والقبح.

3 ــ اللغة:

اللغة هي ذاكرة الأمة بحق، وهي الامينة على الفكر والحضارة والتراث والدين والمعرفة، وهي الموكولة بتحويل الانفعالات والاختلافات والرغبات النفسية إلى معاني ثم ترجمتها إلى أفكار، كما من مهامها دعم صلة الإنسان بنفسه، وصلته بالآخر والطبيعة والوجود؛ وليس من «روح» يمكن زعمها للإنسان إلا وهي نتاج لغة، وعليل اللغة هو عليل الروح، وصفيّ اللغة هو صفي الروح. والروح التي نقصدها هي الوعي بالذات والوعي بالآخر وبالطبيعة وبالوجود. لذلك فإن إرادة تحطيم هوية الذات الفردية والذات الاجتماعية، وسَدّ شرايين التواصل وبذر الفتنة وجرّ الانسان إلى التبعية والعمالية عن غفلة وانسياق أعمى، بل ابطال الدفع العلمي والمعرفة، وسدّ كل منفذ للإطلال على التراث والتاريخ وتقتيم صورة الحضارة وتقزيم الارادة، إنما كل ذلك يجد مُدْخَلا له من خلال إفساد بنية اللغة، أو تبديلها، أو فرض ما يزاحمها من لغات أخرى في سن مبكر ــ لأن اللغة الواحدة ــ إذا ما تأكدت ملكتها قبل تعلم لغة اخرى ــ تدعم الإنية، ووعي الإنسان بذاته، وتقوّي فيه جانب الإردة، وتربطه بتاريخه الحضاري، وتزرع فيه الاعتزاز بذاته وباصوله، كما تغذي الذاكرة وتبعث الفهم والفكر، وتهيّء من خلال علاقتها الجدلية بالدين روحاً اجتماعية سامية، ينبثق منها مجال فكري ومعرفي ينبض بالحياة.

ثم لو عُدنا إلى أصول الحضارة الغربية لوجدنا أن مبعثها الأصلي تمثّل في إثارة مسائل لها علاقة بالدين، تحوّلت إلى صراع معرفي جدلي مثمر بين مناهض ومناصر. غير أن توازن القوى بين الفلسفة اليونانية والفكر الاسلامي (علم الكلام

بأنواعـه)، في الامة العـربية والاسـلامية، هـو الذي أوقف التطـور الفكري، وحطّم القـوتين، في حين أن الغلبة كـانت «لعلم الكلام» في العـالم الأوروبي، الذي احتـوى مسائل الفلسفة وأذابها فيه واستغلهـا في تطوير ذاته.وقد كان لازدهـار اللغات الأوروبيـة في مجال الأدب والمـعرفة نصيب الأسد في تعليل النهضـة الأوروبيـة. لذلك أرى من الضروري ـــ في هذه المرحلة التاريخيـة بالذات ـــ أن تتدخل الدول العربية بكل حنكة وحزم لمحاصرة ولمنع اللهجـات المحلية البعيدة عن اللغة العربية أو المشوهة لها (كـاللغة الدارجة مثلا في تونس)، وتكـريس التخاطب على المستوى الشعبي باللغة العـربية (فقط)، وكما أن سلامـة الطرقات وتطويـر وسائل النقل يُيسر الدورة الاقتصاديـة ويساهم في ازدهار الاقتصاد، فإن اللغة تـؤكد التواصل وبالتـالي التفاهم بين مختلف شرائح الأمـة، وتهيّء للمعرفة والعلـوم وعاءاً يتّسع باستمرار. وكذلك يجب بعث هيئات ومراكز كثيرة ومختلفة الاختصاصات لترجمة المعـارف والعلوم، كما يجب الاعتنـاء بتكوين مترجمين مختصين في شتى اللغـات. واللغة الأم، (التي هي بالنسبـة إلينا هي اللغة العربية) يجب أن تكون غـاية في حد ذاتها، في حين أن اللغات الأخرى يجب أن تُتعلم على أنها وسائل ويقع الالتجاء إليها بقدر الحاجة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4 ـــ دعم الشـــعور بالانتـــماء:

إن ما يدفع بالإنسان إلى التضحية والتفـاني في القيام بالواجب هو كبرياؤه، يعني شعور الذات بـاستقلاليتها وتعاليها في تصور وسمـو الغايات من حيث نبل قيمها وبعد نظرهـا. ويتحقق ذلك إذا شعرت هذه الذات بأنها تنتمي إلى أصل طيب ومنبت حسن. فاعتزاز الإنسان بذته، بتراثه الخاص بأمتـه، باللغة بالدين بالوطن، بشعبه بدولته بمكاسب أمته... الخ. هو الذي يحبب إليه الحياة والمشاركة البناءة في كل المجالات، كما يجعله مكرما مهابـا من الآخرين (ممن ليسوا من أبناء أمته). فأن أكـون عربيـا مسلما، يعني أن أضرب بجـذوري في كل أرض عربيـة وفي كل أرض اسلاميـة، وأن أجد سنـدا ونصيرا في كل هـذه البقاع. إذن، لست وحـدي (ولا أنا معـزول)، في هـذا الصراع العـالمي، وفي هـذا الخليط من التثقـافـات والحضـارات الأخرى، بل أنتمي إلى ذات قومية، أستمد منها لوني الحضاري وعزتي وكبريائي.

وأهم ما يميـز القومية العـربية خاصيتان بدونهما لا يمكن الحديث عن

قوميـة: الدين الإسـلامي، واللغة. فالـرسول «محمـد» عليه السـلام، (أعظم رجل شهده التـاريخ البشري) هو «عربي»، ومن ذلك الحين ـــ وبـالقرآن الكريـم ـــ أصبحت اللغة «اسـلامية»، فهذا الثـابت المزدوج لغة/ اسلام، هـو الذي يجب أن يكـون عمود هـذه الامة وركيـزتها الحضاريـة. أما العـرق أو الشكل أو الـرقعة الجغرافية... فلا معنى لها في غياب هاتين الخاصيتين.

كما يجب التمييز جيدا بين المراحل التاريخيـة التي مر بها أي شعب عربي وبين ثـوابت الهوية فيـه، فـلا يُعتبر من الهوية إلا مـا يكـون فـاعلا من العنـاصر (التاريخيـة)، أي كل ما يسجل حضـوره في الذاكرة والفكـر والعاطفـة والسلوك، ويفرض نفسه كشرط تميّز وتفـرّد، وكقوام وجود. أما باقي العنـاصر فهي تذكر وتدرس لتعلم (لغرض معرفي فقط). كما يجب أن نحذر جيداً من أن نصنع لنا أعداء من «الـوهم» كالـدعوة مثـلا إلى بعث الثقافـة البربريـة بتعلة أنها جـزء من التراث والهوية. ولاشك أن هـذه الدعـوة تخفي في الحقيقة طعنـا ومكيدة. لذلـك فأي نداء للعـودة بهذا الشعب (شعب تـونس) إلى القـرطـاجنيين أو الـرومـان أو البربـر أو غيرهم، ممن لم يبق لهم أثر في ذاكرة الشعب ووجدانه، هو نداء يُخفي الجهل وسوء النية وسفاهة التقدير. ولك أن تقول نفس الشيء عن شعبي العراق ومصر العريقين أو غيرهما من الشعوب العربية. فيكفينا فخراً أن آخر الرسل كـان من هذه الأمة، ويكفينـا فخراً أن الـوحي نـزل بلغة عـربيـة، فنحن الآن كعرب نمثل روح الأمـة الاسـلامية، بل من يملك اللغـة يملك السلطة، ولغتنـا عربيـة دينية، إذن فسلطتنـا معنويـة على عكس المسلمين غير العرب. ولكن هل يفهم العرب هـذا؟! هل يقدرون مكانتهم ومنزلتهم في (ومِنْ) قلب وروح هذه الأمة الاسلامية الغنية حضارة وعددا وعـدّة!!؟ متى يفهمون ذلك ويقـدّرونه حق قـدره!!؟ متى!!؟. فـالفرصـة سانحـة، والزمن مـلائم، ولكن للأسف ليس لكل فـرصة منتهزٌ، كما ليس لكل طـائر صياد، وقـد يتكاثـر الصيادون حين تغيب الطيـور، فيتقـاتلون على طير مـوهوم...، وقـد يحضر الطائر والصياد الماهر غائب أو مفقود.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

5 ــ تمثُـلُ الآخـــر:

الآخر بالنسبة للذات «كجنس» هو الرجل في مقابل المرأة، أو المرأة في مقابل الـرجل. والآخر بـالنسبة للـذات كفرد، هـو الانسان المقـابل. امرأة كـان أو رجل.

والآخر بالنسبة للذات كشعب، هو شعب آخر. والآخر بالنسبة للذات كأمة، هو أمة أخرى مختلفة. والآخر بالنسبة لذات الانسان بإطلاق هو العالم الخارجي كموضوع طبيعي وحيواني.

وطريقة تمثل الذات للآخر، تختلف في علاقة عنصر بعنصر، ولكن تتفق جميعها، على أن هذا الآخر هو المغاير والمختلف، وبما هو كذلك فهو المنافس والنقيض المعارض. والذي يفسر هذا التقابل الواقعي، هو افتراض أن الذات ــ نظرياً ــ تُعتبر حرة باطلاق، وإذا كانت حرة، فلابد وأن تكون مفردة متميزة ومستقلة. والحر هو الذي يفعل انطلاقاً من طبيعته فعلا ينسجم مع هذه الطبيعة. ولما كان الفعل الحر هو ما يسبق الذات باعتباره يطلب المطلق وهي متعينة، كان الفعل هو الذي يحدد طبيعة الذات التي ستكون منطلقاً له، وهذا ما يفسّر اختلاف الذوات وتميزها، ويفسر كذلك اندماج بعضها في بعض.

فالرجل ــ مثلا ــ سيطلب المرأة بفعله، والمرأة ستطلب الرجل بفعلها، ولكن ما يطلبه الفعل الطبيعي ــ نفسه ــ هو المرأة والرجل في اتحادهما كذات. لأن الفعل الطبيعي الغريزي يقف بقوته وراء الرجل والمرأة دون أن يميز بينهما. في حين أن طلب الرجل للمرأة يكون في البداية كموضوع رغبة، وطلب المرأة للرجل كموضوع رغبة أيضاً. والذي سيشرّع للمرور من الزوج المتعارض ذات/ موضوع، إلى ذات/ ذات، هو القانون، الذي سيجسمه في الأول عملية «التمثل»، ويعني أن يستأنس الرجل بصورة المرأة في ذاكرته وخياله فتستقلّ موقعاً في وجدانه، حتى تحيا فيه كعنصر مكمّل له، مما يسمح لهذا العنصر أن يكون الوسيط الرابط بينه وبين المرأة الواقعية (وما قلناه في شأن الرجل يصدق أيضاً في شأن المرأة). ثم بعد ذلك يتجسم هذا الحد الوسيط والطبيعي (الذي هو التمثل)، في وثيقة الزواج بين امرأة معينة ورجل معين. وبذلك تتحد الذات قانونياً وجنيساً، بعد أن اتحدت عاطفياً ووجدانياً على مستوى الطبيعة والخيال، ثم يصبح لهذه الذات فعل آخر وهو تكوين عائلة، وهي تعتبر ذاتاً أشمل، تدعم وحدتها العاطفة والاشتراك في المصلحة.

فالعلاقة الطبيعية للزوج (امرأة ورجل) في تكوين الذات، هي علاقة مساهمة في فعل حر، مما ينتج عنه ذات حرة. والمحدد الرئيسي لهذه العلاقة قانوناً

هو وثيقة الزواج، التي تعني في دلالتها (الأساسية)، أن تـأخذ المرأة من الرجل ما تقتضيه طبيعتها كأنثى، وأن يأخذ الرجل من المرأة مـا تقتضيه طبيعته كذكر، وأن يتنازل كل منهما لـلآخر عما سيعطيه لـه من جانب حـريته، وأن يتجنب كل منهما الحيف والتعـدي وتجاوز الحدود الطبيعية كأن يستعبـد أحـدهما الآخر أو يهينـه ويمسك عليـه حقه الـذي اتفقـا بحكم وثيقـة الزواج على أن يأخـذه منـه تكريسـا لمقتضى الطبيعـة البشرية. لأن هـذا التعدي يبطل مشروعيـة العقد طبيعيـا (والذي يعتبر لاغيا) حتى وإن لم يلغ قـانونيا. وهكذا يعـود كل منهما إلى التصرف بطبيعته دون أن يولي أي أهمية لعقد الزواج، إلا إذا أرغم على أن لا يفعل غير ذلك.

وقس على هذا المثال ــ مع بعض الفروق ـ علاقة أفراد الشعـب بالقانون، الذي يلغى طبيعيا إذا لم ينسجم مع مصالح الشعب وحاجياته كذات. فالقانون هو الحد الوسيط بين الشعب والـدولة كجهاز مـؤسساتي، لتصبح الـدولة والشعب، استنادا لشرعيـة القانون (الموافق عليه مـن جهة الشعب) ذاتا واحدة، تتّحـد حول مصلحة مشتركة وغايات واحدة.

وبما أن المُناظِرُ للغريـزة الجنسية للفرد (والتي هي دافع طبيعي يقرّب بين الجنسين أنثى وذكر)، هـو الدِّينُ، ومـا يتفرع عنـه من عادات وقيم... (والـذي هو يقوم مقـام الغريزة الجنسية في التقـريب بين معتنقيه)، وبما أن الغريـزة الجنسية تجد تجسيماً ودلالة لها في عقد الزواج، كان من المفروض أن يجد الدين له تجسيماً ودلالة في القـانون، وإلا لما نـال موافقة من عنـاصر المجتمع المتدينين بـذلك الدين. ولأصبح القانون إلزاماً وعدواناً مسلطا عليهم بغرض استعبادهم أو استغلالهم أو تغليب طائفة على طائفة أخرى أو تسخيرهم لمصلحة دول أخرى وشعوب أخرى.

6 ــ تاكيد الأمـــن:

الانسان الحرّ هـو المتشبث بالحياة، بل هـو الذي يأتي قبل الحيـاة ليبْعثها ويُقوّيها، ويأتي من خلالها ليحْميها ويذود عنها، إن الحرية هي مسؤولية ثقيلة لا يتحمل عباءها ووزرها إلا الانسان القـادر الحر، فيحارب من أجلها ويستميت ذوداً عنها، ويتهيأ متحفزا للدفاع عنها في كل آن وحين. وليس من أمن ولا سلم مرتجى ـ في الحقيقة ـ إلا في تأكيـد القانون وبنائه على أسس ثابتة والموافقـة عليه واحترامه. ولكن القـانون العادل غير ممكـن إلا بين الأحرار، أي بين الذوات المسـاهمة في فعل

حر، أما الذوات غير الحرة فمن المفترض أن تجر بهذا الفعل جراً، وينتظم حالها طبقا لوجهة هذا الفعل، وعليها أن تخضع للقانون عن قسر وقهر، وليس أمامها من خيار إلا أن تطيع أو أن تتحمل مخاطر الحرية فتصمد أمام التحديات والتهديدات والعدوان، وتتقبل التضحيات الجسام، إلى الحد الذي تفرض نفسها فيه على أنها ذات حرة لا تقبل الخضوع أو الاستخدام، وعلى الذوات الخرة الأخرى حينئذ أن تعترف بها وتيأس من امكانية استخدامها لصالحها، وأن تُشركها في فعلها وفي صناعة القوانين.

فالقانون لا يحمي «الضعفاء»، وإنما جُعل ليحدد علاقة الفعل بين الأحرار، والحر لا يكون أبداً ضعيفاً، حتى وان كان فرداً في شعب أو أمة، لأنه عندذلك سيكون قوياً بشعبه وبدولته وبأمته. ولكن إذا كان الشعب والدولة ذاتاً غير حرة كان كل المنضويين تحتها غير أحرار، وبالتالي ينوبهم من الضعف والمسكنة والخنوع من دولتهم، ما ينوب هذه الدولة من دول حرة قوية. ولهذا السبب يجب أن نميز بين الحياة الآمنة في عزة وكبرياء، و«الحياة الآمنة» في خنوع وخضوع ومذلة، فالحياة الأولى هي انعكاس لغريزة الحياة وترجمة لصورتها وقوة اندفاعها و«الحياة» الثانية انجذاب للموت وترجمة للجمود والخمود والخمول... فلا أمن إلا بالقوة ولا قوة إلا بالحرية ولا حرية إلا باستقلالية الذات وتميزها، وبالتالي سيكون للقانون المجسم لهذه الحرية معنى ودلالة وشرعية.

أما القوانين الدولية الحالية فلا حظّ للضعفاء في الاشتراك في وضعها أو تنقيحها أو الاعتراض عليها، بل هذه الأمور لا تعني إلا الأحرار، بالنظر إلى حفظ مصالحهم، وصيانة أمنهم، وتحديد علاقة الفعل بين بعضهم البعض، وتسطير غايات كل واحد منهم في التصرف في «الضعفاء». وذلك لأن الفعل الحر ليس من طبيعته أن يُعبرّ ويقدّر الفعل غير الحر، لأن من طبيعة الفعل الثاني أن يكون تابعاً للأول والأول مستخدما للثاني. لذلك فإن الأمن الذي قد يشعر به «العبيد الضعفاء»، هو أمن ظرفي، ومنحة خارجية، تتصرف فيه أيادي غريبة فتضعه إن أرادت وترفعه إن أرادت. فلا أمن حقيقي ـ إذن ـ على سطح هذه الأرض إلا بين الأحرار، لأنه لا قيمة لأي قانون إلا ما يشرعونه هم، حسب تصوراتهم ومقاصدهم وأغراضهم الخاصة. ولكن كيف يمكن بلوغ درجة الأمان؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإجابة على هذا السؤال ثم بمراحل طبقا لتصورات الذات المقصودة:

ـ **فالشخص الآمن** هو الذي تنسجم غريزته الطبيعية، من حيث هي رغبة في الحياة والإشباع التام من أكل وشرب وجنس واطمئنان على المستقبل...، مع ما يتمثله من عناصر اجتماعية كالعادات والتقاليد والدين والإلزامات العرفية... وعوض أن يكون خادما لهذه العناصر، تخدمه هي بما توفر له من رغبات وحاجيات روحية ومادية، فيتمسك بها هو بدوره لهذا السبب.

ـ **والمجتمع الآمن** هو الذي يطمئن إلى نجاعة امكانياته وقدراته الذاتية، وإلى خصوصياته الحضارية، ويستفيد في تأكيد أمنه من الفكر والعلم والدين والفن والعادات... الخ. مما ينسجم مع المصلحة المشتركة لأفراد المجتمع الذين سيخضعون إلى قانون يرضونه جميعاً لأنهم يساهُمون في صياغته طبقاً لنموذج ينسجم مع هو يتهم وذاتيتهم المتميزة.

ـ **والدولة الآمنة**، هي دولة الشعب الآمن التي تتأسس في جوّ ديمقراطي حر، تساهم فيه كل الفعاليات السياسية والاجتماعية، وتكون قراراتها منسجمة مع الإرادة الشعبية انسجاماً تاماً في الحرب والسلم.

ـ **والأمة الآمنة**، هي الأمة التي تتوحد شعوبها حول عناصر ذاتية مشتركة، تكون محددة لإرادتها الواحدة، وهي التي تتعاون دولها على صيانة قواها، ودعم أمنها، وتأكيد اختلافها وتميزها على غيرها من الأمم، والبحث في سبل توحيد قراراتها في السلم والحرب، وفي النهاية تهيئة الأسباب لإدراك الأمة / الدولة، أو دولة الأمة، كهيئة سياسية وعسكرية عليا تحفظ على الأمة خصوصياتها الحضارية وأمنها العام، وتؤكد توازن القوى في العالم.

III ـ مبادىء الحرية الخمس:

<u>الحرية ليست حقا من الحقوق، وإنما هي مبدأ وجودي خلاق لا يُعطى إلا لجدير يقدس الحياة ويقدرها حق قدرها، ويرفع قيمتها فوق ذاته بحيث يكون مستعداً للتضحية بنفسه من أجل حياة كريمة عزيزة.</u> ويتجسم هذا المبدأ في خلق «الذات» ككيان متميز فاعل ومؤسِّس، يَصدرُ عن فعل حر ويُصدر فعلا حراً.

وفي نهاية هذه الدراسة يمكن أن أجمل تصوري للذات الحرة بقولي:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي الذات التي تفعل طبقاً لهويتها. ولهذا الفعل خمسة أركان أو مبادىء:

أ ــ أن أكون: أي أن أكون ذاتا لها ما يميزها من الخصوصيات الحضارية: دينا، ولغة، وفكرا، وثقافة، وفنا... الخ. مما يجعلها تنفرد بهذه الخصوصيات عن الذوات الأخرى فتتجلى ككيان مستقل له لونه الخاص به، وثقله الوجودي الواقعي والفعال في تطوير ذاته ومكوناته الخاصة به، مما يجعله مركزا لانتاج الطاقة الروحية والفكرية والمادية، تشعّ على ذاته وعلى الآخرين وتكشف عن مجال للفعل الحر، يكون بداية الطريق لتثبيت السلم في العالم.

ب ــ أن أشرّع: أي أن تكون لي القدرة على أن أضع من القوانين ما ينسجم مع هذه الكينونة، ويدْعمها في حاضرها ومستقبلها، حماية لبنيتها الداخلية ولإطارها الخارجي. والذات في شكل دولة الشعب، لابد وأن تمنح حق التشريع الى برلمان منتخب بطريقة ديمقراطية يكون له القول الفصل في إقرار القوانين أو تعديلها أو الغائها، طبقا للإرادة الغالبة في الشعب، وأي قانون يوضع بغير هذا الطريق (ولو كان دينيا) يُعتبر عملية اجرامية، وخيانة للشعب عموما.

ج ــ أن أحتمي: أي أن أوفّر لكينونتي جهازاً أمنياً ذاتيا، يحفظ لها مكاسبها، ويمنع عنها ما من شأنه أن يبعث الشقاق والانقسام فيها من المؤثرات الخارجية، التي تبحث عن زرع العمالة وبث بذور الفتنة، كما يهيىء هذا الجهاز (المتعدد الاختصاصات) وسائل التكيف مع الظروف والواقع، ويرعى أسباب الوحدة التلقائية والعفوية، ويسهر على تطبيق القوانين فيها، كما يصون قراراتها واختياراتها ومكاسبها المادية والمعنوية.

د ــ أن أدافع: أن تكون علاقتي بالذوات الاخرى كلها حذر وحيطة، وأن لا أركن ولا لحظة للغفلة عما يدور حولي من أحداث، وأن اعتبر أن الأكثر اختلافا في الدين والحضارة واللغة... الخ هو الأوجس خيفة وهو الداعي إلى الانتباه منه والاحتياط له أكثر. وأن أكون على استعداد دوما للدفاع عن الذات (: مثلا، الدفاع عن الذات كشعب يكون إما بالجيش في حالة الحرب، أو بهيئة للاستخبارات يكون فعلها خارجيا، أي لا توجه إلى التجسس عن

الشعب بغرض تقسيمه ونشر الفتنـة، والجبن فيه)، كما يجب عليّ أن أسعى في ابرام تحالفات مع من لي معه مصحلة مشتركة، وحـاله ـــ من حيث القوة ـــ مثل حـالي، وأن أُقرّ قـوانين عامـة غير مُهينة، وتخص بلـوغ حالـة من التعايش السلمي مع الذوات الحرة الأخرى.

و ـــ أن أؤثر: اي أن افعل في الخارج كما تفعل أي ذات حرة أخرى، تسعى لحماية نفسها،: فأنشر حضـارتي وثقافتي ولغتي وديني... الخ، وأستقطب الذوات المتأثرة بمجـال فعلي ثقافيا ومعرفيـا وأخلاقيا وسياسيـا ولغويا... الخ. ولا أهتم أبـدا لتجـزئهـا، **إلا لأضعَ مـوْطىء قـدم، فيهـا، على أسس قيمية، مـادام في ذلك دعم لـذاتي وتحصين لها**، وتيسير لعملية استقطـاب الذوات الأخـرى (لأن الأكل يمر لذاتي اولا بعمليـة المضغ، والاستقطاب أو الاستيعـاب يمـر اولا بعمليـة التقسيم والتفتيت). ويجب أن يتبع التقسيم إرادة تركيب يرتبط بإرادتي وبغاياتي بل يدْخل فيها.

ـــ وفي النهاية: لا يجب على القارىء الكريم، أن يستنتج، من **هذا الذي قلته، اني أذهب الى:** أن أصل العـلاقـة بين الـذوات هـو الحرب والتنـازع، وأن الطبيعة الانسـانية هي الطبيعة الـذئبية كما يرى «هـوبز». **وإنما أعتقد أن المحـدّد الرئيسي للعـلاقـة بين البشر هـو طلب السلم والأمن، غير أن الأمن يقتضي القـانون العـادل والتطبيق العـادل لـه. وهذا غير ممكن إلا بتعـادل القوى وتوازنها، ولا ندرك هذه المعادلـة إلا بتأكيد قيمة الحرية التي ذكرنا أصولها، وهي أسس لخلق ذاتٍ حرة، والمحافظة عليها وصيانتها.**

ولهذا السبب، كـان من الضروري أن تـؤسَّسَ الدول ـــ إذا كانـت ترجـو الحرية، وبالتالي العزة والكرامة والمكانـة المرموقة المؤثرة في المحافل الدولية ـــ على أساس **ديمقراطي** يُعطي للشعوب حرية اختيـار نموذجها السياسي وتقرير مصيرها. وتجنب كل فرض للوصاية مهما كانت: فردية، أو طائفية، أو نخبـويـة، أو حـزبيـة، أو دينيـة، أو دوليـة... الخ، واعتبـار ذلك عمليـة اجراميـة. وإنما يعود القـرار النهائي لإرادة الشعـب، وقرار الأغلبيـة هو المؤكّد لـوجهة هـذه الإرادة دون غيره، لـذلك يجب الخضـوع التام لقـرار الأغلبية لمدة انتخابية معينة.

اشكاليّة التقدّم بين النظريّة والتطبيق الطهطاوي ـ الكواكبي ـ شميّل ـ أرسلان نموذجا

بقلم : محمّد مبيل فرادي

ولكن المتمعّن أكثر في دراسة فكر الكواكبي يستنتج أن الغرب فعلا هو منبع امتتاح الرؤية الاصلاحيّة عند الكواكبي وهو ما يتجلى بصورة مجملة في نظريّته التي سمّاها "الاسلاميّة" ويقول أنها "مؤسسة على أصول الحرية برفعها كل سيطرة وتحكم بأمرها بالمعدل والمساواة والقسط والإخاء ويحضها على الاحسان والتحابب وأصول حكومتها الشورى الارستقراطيّة، شورى أهل الحل والعقد بعقولهم لا بسيوفهم، وأصول ادارة الأمة : التشريع الديموقراطي أي الاشتراكي وليس في الاسلاميّة نفوذ ديني مطلقا في غير مسائل اقامة شعائر الدين..." غير أن الغرب من هذا التعريف يمثل النموذج الداعم أو هو القادح الذي أوعز الكواكبي بضرورة الاستمرار في تعميق وعي المسلمين بهويتهم وتحررهم وذلك بفهم وضعهم القائم والعمل على تغييره شيئا فشيئا عن طريق وصل ما انقطع من ماضي المسلمين وأمجادهم بحاضرهم استنادا الى الواقع المتحرك ومعالجة عوائق النهضة على ضوء منهج أساسه التطلع الى بناء المستقبل بانفتاح كامل على كل الحضّارات الانسانية وخاصة الغرب المتقدم والناهض.

ويرى شكيب أرسلان أن الحل يكمن في تخطي كل عوائق التقدم والترقي وخاصة عائق اليأس والقنوط والشعور بالاحباط الذي أصاب المسلمين فجعلهم يفقدون الثقة بأنفسهم وبالمستقبل ورأى أرسلان كذلك أن من أوكد العوائق التي يجب على المسلمين تخطيها لتحقيق التمدن هو التخلص من الجهل، والجمود على القديم، وأن يناضلوا كثيرا من أجل تحصيل المعارف والعلوم الدينيّة والعقلية

وقد جاء الحل في قوله.. «فنحن نريد أن نقول أن كل من سار على الدرب وصل وأن المسلمين اذا تعلموا العلوم العصريّة استطاعوا ان يعملوا الأمال العمرانية التي يقوم بها الافرنج وأنّه ليس هناك فرق في القابليّة البشريّة، ولكن علي شرط أن ينفض المسلمون على أنفسهم غبار الخمول ويلغوا هذه القاعدة التي كانت من أسباب شقائهم زمنا طويلا وهي أن كل عمل عمراني في الشرق لابد أن يستعار لها شركة أروبية لتقوم بها وإلا لا يستطاع عمله...».

سبل التخلص من الانحطاط عند شميّل حصرها في طرح كل ما يربط الشرق بالقديم باعتباره جمودا وموانع تعيق اندفاعه نحو التمدن والرقي واقتباس مسالك المدنيّة من الغرب خاصة ما يتعلق منها بالعلوم التجريبيّة المستحدثة والآداب والمعارف الانسانيّة فالشرق، لا يستطيع أن يناظر الغرب إلا إذا فاقه في المعدّات الأدبيّة...» ونادى شبلي شميّل كذلك الى تكريس مبدأ النشوء والارتقاء في كل مجالات الحياة وبذا يصبح كل شيء خاضع للتحوّل والصيرورة ويقطع الشرق نهائيا مع حالة الثبات والجمود التي وشمت سنوات الانحطاط والتقهقر ولا يكون ذلك كذلك الا بالتخلص من الدّين الذي كبّل المجتمعات العربيّة الاسلاميّة. وذلك امعانا في طلب التحديد والتحديث وخروجا من سجوف الجمود. والانحدار.

وفي اطار تعليقه على مواقف بعض المفكرين لاحظ الدكتور هشام جعيّط في مقال له بعنوان "أثر الفلسفة على تطوّر الفكر في العالم العربي ـ الاسلامي" أن سائر دعاة النهضة اعتبروا الممارسة سابقة على وجهة النظر وأولوا التطبيق والفعل مكانة متقدمة على التنظير فكانت مشاريعهم تتصف بكونها مشاريع عمليّة أكثر من كونها فرضيات مؤسسة لمشاريع مستقبلية وقد قال معبّرا عن هذا المعنى بأن دعاة النهضة اعتبروا الممارسة سابقة على وجهة النظر وأولوا التطبيق والفعل مكانة متقدمة على التنظير فكانت مشاريعهم تتصف بكونها مشاريع عمليّة أكثر من كونها فرضيات مؤسسة لمشاريع مستقبليّة وقد قال معبّرا عن هذا المعنى بأن دعاة النهضة في العالم الاسلامي يقرّون "بأسبقيّة

الممارسة على النظر وماهو تعليمي على ماهو عقيدي وبكلمة واحدة همّ الفعل على حساب عمق الفكر...".

ونحن وإن كنا لا نردّ كل ما ذهب إليه الدكتور هشام جعيّط من ميل بعض المفكّرين العرب الى نزعة البراكسيس، فإننا نلتمس لهذا الميل عذرا صادرا أساسا عن أعمال تميل الى تغيير ماهو كائن بأسرع السبل فمثّل اندفاعهم نوعا من تغليب سلطة الفعل على عمق الفكر، لأن هذا الفهم قد لا ينطبق بصورة أو بأخرى على نموذج المفكرين الذين نتناولهم بالدراسة والتحليل فالطهطاوي - الكواكبي - شميّل - وأرسلان جميعهم شهدوا فترة انفتاح الفكر العربي على التيارات الفكريّة والفلسفية الغربيّة التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل : الرومانسيّة، الواقعيّة، الطبيعيّة، البرناسيّة، الرمزيّة، الفرويديّة، الوجوديّة، الداروينيّة، السان سيمونية، الوضعيّة..." وقد تأثروا بها بصورة مباشرة مثل شميّل أو غير مباشرة مع عديد المفكرين الآخرين. فهيمنت عليهم اشكاليّة : "التقدم" بكل مصادرها الغربيّة وراحوا ينهلون من معينها كلّ حسب زاوية النظر التي شكلت منطلقه وحددت غايته : فشبلي شميّل مثلا دعا الى تقويم جملة من المشاغل المنهجيّة التي تحكم بنية الفكر العربي لتصيغ منه منوالا قادرا على التحكم وتطويع المعارف الغربيّة وتسخيرها لخدمة الواقع العربي، ومن هذه المشاغل المنهجيّة التي عدّدها شميّل: تعويض العلوم الدينيّة بالعلوم التجريبيّة وفصل الدين عن الدولة لتكريس فكر العلمانية الذي يمثل في نظره ركيزة بناء نموذج الدولة العصريّة ونادى كذلك بتطبيق قوانين النظريّة التطوريّة في كل مجالات الحياة... ولئن كانت هذه أبرز المشاغل المنهجيّة التي حاول شميل تركيزها في أذهان معاصرية. فإنها شلت الخطوط الرئيسيّة اللازم اتباعها لتحقيق النهضة المنشودة. ومن هنا يتبدى لنا ارتباط الفكرة بالتطبيق وتوازي النظري مع التطبيقي عند شميّل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما منوال "الاسلاميّة" التي وضعها عبد الرحمان الكواكبي فهي أيضا تعطي أهميّة كبيرة لتلازم الجانب النظري مع الجانب التطبيقي فالتأسيس النظري عند الكواكبي يمثل وصل الماضي بالحاضر وذلك باتخاذ الغرب" نموذجا تحريضيًا، ومقياسا لصوغ تصور جديد ينبني عليه الفكر العربي ـ الاسلامي فالغرب عند الكواكبي ليس منبعا لتوريد الافكار وزرعها في العقل العملي مباشرة وانما هو شكل تنظيمي يمكن أن نصوغ على هيأته نظريات فكريّة متطوّرة نابعة من ذواتنا وصادرة عن وعينا الأصيل وتطلعنا الى بناء المستقبل بانفتاح كامل. وقد توازي الجانب النظري في عمل الكواكبي مع نزوعه الى تطبيق أفكاره وقد تفطن الدكتور جورج كتورة الى ما ذكرناه فقال في خاتمة كتابه "طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد" : "لقد حاولنا كل مرّة صياغة أفكار الكواكبي من زاوتين محدودتين ـ أولا مدى ارتباط الأفكار بالنص الذي بين أيدينا ـ وثانيا مدى ارتباطها سلبا أو ايجابا بالمحيط أي بالثقافة ـ وهذا ما حاولنا من خلاله التأكيد على فرادة الكواكبي..."

والواقع أن الكواكبي لا يعتبر الوحيد من دعاة النهضة الذين راموا ربط وشائج الفكر النظري بالبراكسيس. وقد بيّنّا ذلك مع شميّل قبله ونقف على نفس النتيجة عند الطهطاوي الذي أسس كتاباته وفكره الاصلاحي على أساس التلازم المتين بين النظري والعملي ويغنينا قول كمال عبد اللطيف في هذا المجال عن مزيد تأكيد ما ذهبنا إليه : يقول عبد اللطيف كمال :"لا يمكن فصل مشروع رفاعة الطهطاوي الإصلاحي عن مشروع محمد علي، الساعي الى تحديث الدولة المصريّة، بعد إعلان استقلالها عن الباب العالي ـ بل اكثر من ذلك نلاحظ أن ما كان يدبّجه في كتاباته من مقدمات يوضح ترابط ما كان يفكّر فيه مع مقتضيات الدولة التي حاول محمّد علي وأبناؤه وحفدته بناءاً... من أجل تملك القوة التي لم يعد من السهل امتلاكها في زمن التطوّر الأروبي اذاك، حيث كانت قد لاحت علامات ومظاهر المنحى الامبريالي في التاريخ المعاصر. ومعناه أننا

أمام فكر يواكب برنامج سياسي اصلاحي معاصر...*

نفس التلازم بين النظري والتطبيقي يجد امتداده في فكر شكيب أرسلان اذ صاغ برنامجه الاصلاحي على أساس مواكبة الفكر للعمل وساهم بالدعوة الى الأخذ بالعلوم النظريّة : كالعلوم الدينيّة والانسانيّة، والأخذ بنواصي العلوم الطبيعيّة والرياضيّة والهندسيّة... فمفتاح الرّقي : "هو قراءة نظريات انشتاين في النسبيّة مثلا أو درس أشعة (روتنيجين) أو (ميكروبات) باستور.. والمهمّ في هذا اقتباس النظريّات والأفكار من الغرب ثم تطبيقها في الواقع العملي لأن "الواجب على المسلمين" أن ينهضوا ويتقدموا ويتدرجوا في مصاعد الجدّ.

ولئن كانت فكرة مواكبة النظري التطبيقي واضحة عند الكواكبي / شميل/ الطهطاوي / أرسلان، فإن ذلك راجع أساسا الى جملة من الأسباب مثلت القادح الموجب لتثبيت أواصر هذا التواشج فنزوع أعلام النهضة الى الأخذ من الغرب برره وعيهم بواقعهم المتدهور أولا وانبهارهم بتطوّر الغرب ومدنيته ثانيا. كما أن انصرافهم الى الانكفاء على واقعهم بالدرس والتمحيص تثبت في أذهانهم امكانية التجديد والتحديث، وصار همّهم الرئيسي هو اكتساب الآليّات اللازمة لتحقيق التمدّن والترقي في مجتمعاتهم العربيّة - الاسلامية، وبات التمدن موازيًا في تصوّرهم للحضارة والحياة، بل هو الحياة أو الموت، وصار مصير المسلمين متعلقا باكتشاف ذاتهم من جديد والعمل على استرداد شروط تميّز الهويّة وسواء الشخصيّة، وبالتالي التخلّص من المسخ والاستعمار والاندثار، أما اقرار الدكتور هشام جعيّط بأسبقيّة الممارسة على النظر في سلوك دعاة النهضة فلا يعني انهم أهملوا الجانب النظري في عملهم وصرفوا كل همّهم للفعل والممارسة. وانما تلازم الجانبان عندهم تلازما وطيدا متوازيا. وإن كنّا لا نقف في كاباتهم على نظريّات واضحة الموضوع ومتكاملة البناء تعالج واقع بلدانهم، فإننا نجدهم يثيرون مجرّد اشكالات حول المذزوج المفهومي : تأخر / تقدم، وعدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجود نظريّات متكاملة حول هذا الموضوع لا يعني برأينا أن دعاة النهضة عاجزون عن القيام بمثل هذه المشاريع وانما مثلت أعمال : الطهطاوي / الكواكبي / شميّل / أرسلان مجرّد ارهاصات تهيّء لظهور أعمال تالية أكثر تماسكا وعمقا وانسجاما. وتعتبر كتابات محمّد عابد الجابري ومحدم أركون اليوم. من أهم ما خطّه المفكرون العرب بخصوص اشكاليّة التقدم.

■ *محمد نبيل فرادي*

القلعة الكبرى جوان 1992

الهوامـــش

1 ـ الدكتور شبلي شميّل "آراء الدكتور شبلي شميّل" مطبعة المعارف بمصر 1912 منشورات النقطة عدد 8 باريس 1983.

2 ـ شكيب أرسلان "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" تقديم محمّد رشيد رضا مراجعة خالد فاروق ـ دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.

3 ـ عبدالرحمان الكواكبي "أم القرى : وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة" الاسلامية المنعقد في مكة المكرّمة سنة 1316 دار الراشد العربي ـ بيروت ـ لبنان ص ب 6585.

4 ـ عبد الرحمان الكواكبي "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" تقديم : الدكتور أسعد السحمراني ـ طبعة دار النفائس.

5 ـ لسان الدين بن منظور "معجم لسان العرب" مادة (ق ـ د ـ م) و (ح ـ د ـ ث).

1 ـ الأستاذ أحمد الحنيري " الحداثة بين الاتباع والابداع" مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 72 ـ 73 ـ جانفي / فيفري 1990.

2 ـ الأستاذ : أحمد الحنيري "منزلة الحريّة عند الكواكبي من خلال : أم القرى وطبائع الاستبداد" الفكر العربي المعاصر عدد 74 ـ 75 ـ وهي مقاربة ألقيت في دار المعلمين العليا بسوسة ـ 9 ـ 10 مارس 1990

3 ـ الأستاذ : أحمد الجنيري : محاضرات السنة الجامعيّة 1991 ـ 1992 حول اشكالية التقدم في الفكر العربي الحديث ـ كليّة الآداب والعلوم الانسانية بسوسة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4 ـ ألبرت حوراني : "الفكر العربي في عصر النهضة 1789 ـ 1939 ـ دار النهار بيروت ـ لبنان.
5 ـ أدونيس وخالدة سعيد ـ ديوان النهضة : الكواكبي : "دار العلم للملايين ص ب 1085 بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولى نوفمبر 1982.
6 ـ الدكتور جورج كتورة "طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد : دراسة تحليليّة" المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى 1407 هـ / 1987 ـ بيروت ـ لبنان.
7 ـ جميل قاسم "قراءة في المقالة الطهطاويّة : المحايثة المشروطة" مجلة الوحدة أفريل / ماي 1987 عدد 31 ـ 32
8 ـ رفاعة رافع الطهطاوي، الأعمال الكاملة ـ 3 أجزاء دراسة وتحقيق محمد عمارة المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر بيروت 1973.
9 ـ السيد ولد أباه دراسة : "أزمة التنوير في المشروع الثقافي العربي المعاصر اشكالية نقد العقل نموذجا "مجلة الحياة الثقافية عدد 60 ص 4 ـ 20 1991
10 ـ علي أومليل "الاصلاحيّة العربيّة والدول الوطنيّة" دار التنوير الفصل الرابع بعنوان "التسامح هل هو مفهوم محايد" ص 107 ـ 120.
11 ـ الأستاذ فتحي القاسمي محاضرة "تجليات العلمنة في الفكر العربي الحديث" ألقيت يوم 15 ـ 5 ـ 1992 بكليّة الآداب والعلوم الانسانيّة ـ بسوسة.
12 ـ كمال عبد اللطيف "التمدن والتقدم عوائق الحداثة السياسيّة في خطاب الطهطاوي ـ المجلة التونسيّة للدراسات الفلسفيّة العدد 5 ـ مارس 1986 ص 9 ـ 25
13 ـ محمد عمارة : "عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحريّة ومجدّد الاسلام" دار المستقبل العربي القاهرة 1982.
14 ـ محمد عابد الجابري "العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته" المركز الثقافي العربي الدار البيضاء 1990.
15 ـ محمد شاهين حمزة "عبد الرحمان الكواكبي : العبقريّة الثائرة" (1271 هـ / 1320 هـ ـ 1854م / 1902 م) ـ منشورات المكتبة العلميّة ومطبعتها 50 شارع الجمهوريّة بالقاهر ـ سلسلة أعلام الحريّة.
1 ـ كتاب "ديوان النهضة : الكواكبي" أدونيس وخالدة سعيد ـ المقدمة
2 ـ نفس المصدر : المقدمة
3 ـ نفس المصدر : المقدمة
4 ـ نفس المصدر : المقدمة
5 ـ نفس المصدر : المقدمة
6 ـ نفس المصدر : المقدمة
7 ـ محاضرة "تجليات العلمنة في الفكر العربي الحديث
8 ـ نفس المرجع.

ARCHIVE

9 ـ نفس المرجع
10 ـ نفس المرجع
11 ـ "أمة التنوير في المشروع الثقافي العربي" الحياة الثقافية ص 6
12 ـ نفس المرجع ص 4
13 ـ "الحداثة بين الابداع والاتباع" ص 127
14 ـ نفس المرجع ص 128
15 ـ "لسان العرب" مادة (قـ ـ د ـ م) و (ح ـ د ـ ث)
16 ـ محاضرات السنة الجامعيّة 91 ـ 92 ـ الحذيري
17 ـ نفس المرجع
18 ـ تحوّلات الفكر والسياسة في الشرق العربي" ص 8 ـ 9
19 ـ "ديوان النهضة : الكواكبي" المقدمة
20 ـ "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" شكيب أرسلان ـ ص 144
21 ـ محاضرة "تحليات العلمنة في الفكر العربي الحديث" فتحي القاسمي
22 ـ "أزمة التنوير في المشروع الثقافي العربي" الحياة الثقافية ص 6
23 ـ "ديوان النهضة : الكواكبي" المقدمة
24 ـ "طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد" ص 148
25 ـ "التمدن والتقدم : عوائق الحداثة السياسية في خطاب الطهطاوي" كمال عبد اللطيف ص 13
26 ـ "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" الخاتمة
27 ـ "نفس المصدر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



48
اللقـب العائلي / الافريـقي في تونـس

بقلم: **الأستاذ محمـد بن الأصفر المحامي**

إذا كان الفـرق في رسم اللفظ كونه: «افـريقيا»(1) أو «افريقية»(2) له دلالات جغـرافية خـاصة، فإن اليـونانيين قـد أطلقوا على الافـريقيين البيض تسمية «ليبيا»(3) للتفريق بينهم من جهة وبين الأفارقة السود من جهة ثانية.

فكيف يمكن أن تكـون هناك عـلاقـة بين المغرب الاســلامي (افريقيـا الشمالية) وسواها من المناطق الافريقية؟

وهل كان لذلك تأثير على مادة الألقاب العائلية؟

يقول الكاتب السينغالي عبد القـادر محمد سيلا: «إن الحركة التجارية بين شمال افريقيـا، وغربي افريقيـا لها عدة قنـوات ليس المغرب الأقصى الا واحدة منها... فهناك برقة (ليبيا)... وتلمسان (الجزائر) والقيروان (تونس)، فالقـوافل الليبيـة تمر عبر بحيرة تشاد وتصل إلى بـلاد برنـو، والجزائريون يقصـدون تمبكتـو وغـاو،... والتـونسيـون يمـرون مـن (الهوسـا) عبر نيجيريا...»(4) ومن الواضح أن الحيـاة التجارية قد ازدهـرت كثيراً في المنطقة الصحراوية الفاصلة بين افريقيا الشمالية وبوابات افريقيا السوداء في القرن الثالث الهجري ويفسر ذلك، الدكتور الحبيب الجنحاني بالاستقرار السياسي في المنطقـة مما دفع بـالتجارة إلى التخلي عن الخط القـديم الـرابط بين غانـة ومصر عن طـريق بلاد النـوبـة والاعتماد على بلاد المغـرب لتصبح القيروان وبلاد الجريـد وارجلان وتاهرت وتلمسـا وفاس وسجلماسة مراكـز تجارية نشطة تتفرع منها مسالك متعددة(5).

ومن جهة شرق ووسـط افريقيا، فـالعلاقـات قد وجـدت هي الأخرى خاصة في العهد الحفصي، يقول الدكتور عبد الجليل التميمي: «... وقد امتدت رقعتهـا الترابيـة (أي الـدولة الحفصيـة) لتحتضن في فترات معينـة المغـرب الأوسط، وطرابلس، ومنطقـة الزاب، وغـدامس، وغات، بل ان التأثير الحفصي كان قويا جداً في جنوب الصحراء الكبرى، وهـذا بفضل قوة العلاقات القائمة بين سلاطين بني حفص وأمراء بورنو مثلا»(6).

فهذه العلاقـات المتنوعة، التجارية والعلمية والثقـافية مع غرب وشرق ووسط افريقيا، قد تواصلت حتـى ليلة دخول الاستعمار الفرنسي إلى تونس، فلقـد حافظ أهـالي غـدامس(7) على نشـاطهم بواسطـة القـافلات مع البـلاد التونسية حاملين مختلف البضائع وكذلك العبيد(9).

وفيما يلي تفاصيل أكثـر عن أسباب انتقال اللقب العـائلي الافريقي إلى المغرب الاسلامي وإلى البلاد التونسية.

1)تجـارة الرقيـق:

هناك من البـاحثين الغربيين من اعتبروا الحضارة العربيـة الاسلامية «حضـارة رقيق»[8] ولقـد كـانت بلاد السـودان ذات شأن في هـذا المضمار بالنسبة لتجارة بلاد المغرب الاسـلامي أكثر من سواها من البلدان والجهات التقليـدية التي اعتمـد عليها العـرب المسلمـون مثل بلاد النـوبة والحبشـة وسواحل افريقيا الشرقي[9]... كما كان الحكام يتخذون حرسهم الخاص من عبيد السودان مثل ابراهيم بن الأغلب مـؤسس الإمارة الأغلبية (800م) وقد اقتفى الفاطميون أثر الأغالبة في ذلك (910م)[10].

وكان أهالي غدامس قد اختصوا بـإيراد العبيد للعمل في زراعة الواحات وحراسة القطعان، والأشغال المنزلية (أي الخدم)[11].

ويـرى الدكتـور عبد الجليل التميمي أنـه قد كـانت للسود في تـونس كأقلية حرية نسبية إذ قد حـافظت على طقوسها شبه الوثنية رغم أنها تعيش

ARCHIVE

في صلب مجتمع اسلامي[12] فالـذي يهمنا مـن هذا ان السـود الأفارقـة قد شكلوا في تـونس أقلية بالمعنى الحضـاري للكملة من جملة الأقليـات الأخرى التي تعيش في البلاد.

فهل كان لها تأثير على الألقاب العائلية التونسية؟

سنرى ذلك في القسم المعجمي مـن تأليفنا،.. وإذ تعرضنـا لهذا الباب فإن السبب هـو تسليط الأضواء على ألقاب افـريقية في عـاصمة تـونس، قد وجدت فعلا!!

2) علاقات سياسـية / طرقيـة:

تذكر بعض المصادر التاريخية ان أميرين أصيلي تونس وهما الأخوان علي وأحمد قد تآمرا على التشاد[13] وان علاقات حسنة قد ربطت بين أميركانم وبورنـو الماي دونمة دبـاليمي، أميركانم وبـورنو من جهـة، وبين السلطان الحفصي أبي عبـد الله المستنصر سنة 1257، وقـد أهداه زرافـة[14] ... وقد تتـالت السفـرات مثل سفـارة الماي ادريس بن علي سنـة ,1502.. وقبلهـا سفارة الماي عبد الله بن كادي سنة ,1327..[14] ... هذا وان جنود تونسيون قد استقـروا هناك بإذن من السلطان العثماني لتـدريب جيوش الملك ادريس الومـا بما مكن هذا الأخير من القضاء على النـزعات القبائليـة والسيطرة على كامل الجنوب[15] ... ولقد أصبح مـواطن تونسي وهو والد الرحـالة أحمد بن عمر التونسي[16] وزيراً للأمير صابون، أمير واداي.

وان هذه العلاقـات قد أثرت بدون شك على المستـوى الاونوماستيكي من ذلك لفظ الماي الـذي سبق ذكـره والـذي سنعود اليـه بأكثـر تفصيل في القسم المعجمي حيث أن نفس لفظ الماي وهو لقب عائلي تونسي.

أما الناحية الطرقية (نسبة) للطـرق الصوفية فهي أيضاً مهمة في باب تبادل التأثير والتأثـر بيننا وبين اخواننا الأفـارقة مما قد يكون لـه تأثير هو الآخر على المستوى الاونوماستيكي...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان سيدي سعد الشوشـان، الذي بدأ حياته كادحـاً إذ تسوغ من سنة 1845 إلى سنة 1851 نصف مـاشية كل سنـة بهنشير الحفصية[17] والذي أصبح خماسا بالمرنـاقية سنة 1875[17] قد أصبح وليا وحـاميا للعبيد وقد عمت بركته جميع التونسيين، رغم الطقوس الافريقية التي تقام بزاويته[18].

والذي يعنينا مما تقدم ان كلا من التونسيين والزنوج الافارقة يميلون إلى الاعتقاد في الصـالحين[19] وهـذا قد وجـد على الاقل من خـلال الطريقـة التجانية.

أ) الطريقة التجانيـة:

عنـد الحديث عن الطريقـة التجانيـة ننتقل من شرق ووسط افريقيـا لنصل إلى غربها، حيث تنتشر الطريقـة التجانية[20] حيث قال ابن حجاب في منظومته عن الشيخ التجاني:

«يَشْكُرُ» عام شيخنـا التجاني ــ تاج أولى المعـارف الرباني[21] والذي اعتبره ابن حجاب كـواحد من أبنـاء وطنه فأرخ لـوفاتـه والحال أن تأليفه لا يتضمن إلا وفيات أعيان وطنه وعددهم ثلاثة وخمسون[22] . ونفس الطريقة التجانية هي أكبر انتشـاراً بتونس[23] . . فهذه الظـاهرة الطرقيـة لها تأثيرها الثقافي المشترك لا محالة وقد يكون لها تأثيرها على المستوى الاونوماستيكي.

وانتقالنـا إلى غرب افريقيـا عند الحديث عن الطرق الصـوفية لا يعني عدم وجودها في شرق افريقيا بل ان الطريقـة السنوسية قد وجدت بليبيا وقد وصلت افريقيا وقد تكون لها آثـارٌ على تونس.

ب) الطريقة السنوسيـة:

ليس لهذه الطريقـة فرع بالبـلاد التونسيـة، التي لم تأتها من ليبيا إلا الطريقة السلامية[24] إلا أنه يمكن أن يكون لها امتداد ثقـافي واونوماستيكي فتكون ليبيا الرابط بين تونس وشرق افريقيا في نقل هذه المادة اللقبية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد انتشرت السنوسية بقوة واشتد نفوذها في أواسط افريقيا بالحصراء الكبرى والسودان الغربي[25] ... من الجبل الأخضر إلى الجغبوب... إلى الكفرة[26] ... وسط افريقيا في تشاد وبورنو ووداي ودارفور وكانم وتبستي..[26].

وكان انتشار الطريقة السنوسية في الديار الافريقية له آثاره الحضارية الجمة التي ستؤثر على اللقب العائلي الليبي الذي كانت كل الأبواب مفتوحة أمامه ليهاجر إلى تونس، مما قد يجعل اللقب الافريقي قد وصل إلى تونس عن طريق هذه القناة... وهو الأمر الذي نعقد له فصلا خاصا[27].

وبصفة عامة فإن حركية الانتقال بين أقطار المغرب الاسلامي ووجود هذه الديار الافريقية محاورة بما يجعل منها مجالا حيوياً للمغرب الاسلامي كان له أثره في حركة الألقاب العائلية الإفريقية ووصولها إلى تونس.

روافد المغرب الاسلامي:

رأينا أن لتونس قنوات مباشرة مع الأقطار الافريقية، سواء بواسطة الطريقة التجانية[20] أو عن طريق تفسير وجود الأقلية الزنجية بتونس[12] وأسبابها ولقد لفظ تونسي متوطن في الديار الافريقية مثل التونسي بوعتام[20] وهو والد عيشة (كذا، على الصيغة التونسية لعائشة)، أم أعمر بن أعلى شنطورة وهو أمير الترارزة (1727م/ 1757م) أو كذلك عن طريق أهل التونسي[29] الذين بتكتلهم مع أهل الشرقي بن هدي[29] يطلق عليهم حندوسة[29].

لكن اللقب الافريقي له روافد أخرى تصل به إلى تونس وهي من الفضاء المغاربي.

أ) الرافد الليبي:

بقطع النظر عما سبق التطرق له من امكانية مهاجرة لقب ليبي من أصل افريقي إلى تونس عن طريق السنوسية[25] أو عن طريق تجارة الليبيين

مع جهات افريقية الغربية[4] فإن هناك أسباب أخرى من شأنها أن تفضي بنا إلى نفس النتيجة، إذ على غرار حكام تونس فإنه قد كانت لحكام ليبيا علاقات مع حكام الديار الافريقية، محمد باي والي طرابلس الغرب قد اتصل بسفارة من أميريو بورنو في أوائل القرن 17[30] وكان أمراء بورنو انفسهم قد عددوا الزيارات إلى فزان[30] من ذلك زيارة الملك ماي ادريس الذي وصل إلى مرزق سنة 1696[31] والمهم أنه كان مصحوبا بأكثر من 7000 (سبعة آلاف) من عبيده[31] ... وقد خرج ركب يتألف من 500 (خمسمائة) جمل من بنغازي في اتجاه واداي[31] وان التجار الذين نظموا هذه القافلة الكبرى قد كانوا من بنغازي وطرابلس ومسراطة[31] ... وهناك مكاتبات بين الادارة العثمانية وطرابلس من جهة وبين حاكم زندر الشيخ تنيمو بن سليمان وحاكم يورنو الشيخ هاشم بن عمر الكانمي...[32] وقد اشتدت نتيجة لهذه الحركية العلاقات بين ليبيا والديار الافريقية إلى درجة المصاهرة في أعلى مستوى حيث أن باشا قرمنلي كان قد جمع إلى زوجاته الأربعة واحدة زنجية وهي زهيرة السوداء[33] في مقابل زواج أمير بورنو الماي أحمد من ليبية هي السيدة زيلة الطرابلسية[33] وكان ملوك بورنو يزوجون بناتهم من الاقلية المغربية العربية المقيمة بالمدينة[33].

وما هذه الاحداث الا بعض الادلة ـــ وليس كلها ـ التي يمكن أن تدل على اللقب الليبي المهاجر إلى تونس قد يكون شيء من الأصول الافريقية.

ب) الرافد المغربي (من المغرب الاقصى):

لئن نعقد فصلا خاصا عن المغرب الاقصى كمصدر لبعض الالقاب العائلية الموجودة في تونس[34] فإنه من المستحسن ضبط ظاهرة اللقب الافريقي في تونس لمختلف أسبابه.

يقول الدكتور أحمد سرحال «... بيد أن الشعب المغربي الذي تعوّد الحياة مع قادة وسلاطين عظام وصلوا بحكمهم إلى اسبانيا شمالا وإلى

السينغال وغانا جنوبا...»[35] فالمغرب الاقصى كان له توغل شديد في افريقيا الغربيـة وهو توغل سيـادة وسيطرة بخلاف تـوغل ليبيا في افريقيـا الشرقية الذي هو توغل ديني/ طرقي/ سياسي، عن طريق السنوسية[25] وهو أساسا تبادل للعلاقـات السياسية والثقافيـة والتجارية من جهـة ثانية[6]... وهذا ما جعل المملكة المغربيـة تعارض استقلال موريتـانيا باعتبار مـا جاء في الكتاب الأبيض[36] من أن حدود المغرب هي نهر السينغال بحيث أن التراب المغربي يشمل الريف وايفني وطـرفايـة وتنـدوف ويريح وتـرانكي... الخ..[36] وذلك على اثر منح فرنسا استقـلال موريتانيا في 28 نـوفمبر ,1958.. وكان من بين المستندات المغربية أن لفظ سينغـال مستمد من لفظ زناقة وان هـذا اللفيظ الأخير هو في الأصل صنهـاجـة وهي قبـائل بـربـريـة بيضـاء كـانت قـد استـولت على الصحراء[36] ... وان بعض المظاهـر الانتروبولوجيـة والثقافيـة تدعم حسب رأينـا مـوقف المغـرب فقـد تحدث الاستـاذ عبـد القـادر محمـد سيـلا عن المسامـرات التي كـان يعقدهـا السنغاليـون حول النـار المشتعلة[37] وهذه المسامرة الفـرجوية هي التي عرفت عند برابـرة المغرب الاسلامي تحت اسم حيدوش[38] وما قبيلـة صنهاجة إلا واحـدة من برابـرة الشمال الافريقي... وسنعود في الابان إلى لفظ (حيدوش) أو نماستيكيا.

لكن، بالـرغم من وجاهة ــ وليست الوجاهة هي الصحـة بالضرورة ـ فإن المادة اللقبية الافريقية لها ما يميزها عن اللقب العائلي المغربي إذ لا يكفي أن يكـون الحكم المغربي قـد وصل السينغـال[35] لكي يصبح اللقب العـائلي الافريقي مطابقا تماماً للقب العائلي المغربي.

ان لموريتانيـا، وما حولها مصادر تـاريخية أخرى له تأثيرهـا الثقافي والحضاري والاونوماستيكي... والتآليف التاريخية التي وضعت من الزاوية المخالفة لوجهة نظر التيار المغربي تؤكد ذلك، فهذا محمد فال بن بابة العلوي يـرى أن تأسيس امارتي البراكنـة والترارزة قد نشأ انطـلاقا (حتى لا نقـول بسبب أو بفضل) صراعـات بني حسان وخـاصـة المعافـرة[39] وهي قبائل

عربية دخلت من صحراء شنقيط بداية من القرن 14م وقسمتها إلى اماراتي البراكنة والترارزة الواقعتين جنوب موريتانيا على ضفة نهر السينغال[39] وقد أشارت المحققة الاستاذة خديجة بنت الحسن إلى ان عقائل بني حسان العربية قد وصلت إلى موريتانيا من المغرب الاقصى مع قيام سلطة بني مرين ومؤكدة على أنهم عرب ولا تربطهم با لمغرب الاقصى الا رابطة الهجرة تماما مثل ما كانت لهم نفس الرابطة مع موريتانيا[40] والملاحظ أن بني حسان هي بالفعل من القابئل التي هاجرت إلى منطقة المغرب الاسلامي حيث يقول المقدم البلادي: «...منهم الحساسنة، ينتسبون إلى حسان بن شباية، كانت مساكنهم بافريقية،، هاجر بعضهم أو كلهم إلى هناك».[41] .

وان التداخل الشديد في بعض الصيغ اللقبية با لمغرب الاقصى هو الذي دعانا إلى طرق مسألة اللقب المغربي المتداخل مع اللقب الافريقي لسبب ما مثل هذا اللقب، أحمد بن أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد بن عقيل التكروري الصنهاجي السوداني[42] فهو قد جمع بين صنهاجة وهي قبيلة مخزنية متحالفة مع أهل منطقة القبائل[43] بالجزائر، وقد كان الموحدون قد ركزوها في وادي السمام... ثم عرفت بولائها للحفصيين[44] بحيث هم من الشمال الافريقي وقد رأينا أن خط تحركهم قد كان في اتجاه السينغال[35] أي في اتجاه افريقيا الغربية وليس افريقيا الشرقية... وجمع إلى ذلك الصبغة اللقبية لمورينا وللبراكنة والترارزة من غربي افريقيا وهي (بابا)[28] كل ذلك إلى جانب تكرور والسودان.

وسيكون المزيد من التفاصيل في القسم المعجمي.

ج) الرافد الجزائري:

ليس من المفيد أن نطيل البحث في هذه النقطة بالنسبة للجزائر لان شانها في مسالة التوغل في افريقيا لا يختلف كثيراً عما رأيناه مع ليبيا والمغرب الاقصى.. كما أن الحديث عن انتقال الاباضية من تاهرت[45]

بـالجنوب الجزائري إلى بـلاد الجريـد وجربـة بالبـلاد التـونسية قـد شرح الظاهرة وهي تـداخل السكان بين بعضهم بعضا، كما كانـت لنا عودة لنفس الظاهرة في الفصل الذي عقدنـاه عن الجزائر كمصدر لقبي لتونس من خلال ظاهرة تداخل الحدود[46].

3) الاسبـــاب الدينـــية:

ليست السيـاسـة والتجـارة وحدهما سببـا لمهـاجـرة اللقب العـائلي الافريقي إلى تونس فهنـاك أيضاً العلم، سواء منها اقامة الشعـائر الاسلامية أو الهجرة لتلقي علوم الشرع.

أ) الشعائـــر:

يقـول الاستاذ الشيخ محمـد الصادق بسيّس: «... وقـد كان الـوراق بسوق الكتبيـة محمد بن الاصفر باقعـة دهره في نفائس المخطوطـات، وكان يدخـرها للمغرمين بالمخطـوطات من التونسيين واذا قدم وفـد علماء المغرب لحضور جلسات جمعية الحرمين الشريفين أخرج لهم الذخائر والكنوز..[47] فشعيرة الحج كانت تقترن باجتماع جمعية الحرمين الشريفين ولم تكن هناك طريق واحدة، فقـد كانت هناك طريق صحراويـة تنطلق من المغرب إلى البقاع المقدسة[48] وتضم سنويـا أكثر من عشرة آلاف وهـذا قد سـاعد على اقـامة أرضية صـالحة للاخوة بين المغـاربة من جهـة والافارقة من جهـة أخرى... لذلك كان جامع الزيتونة في تونس مثل القرويين بفاس والأزهر بالقاهرة قبلة لعلماء تمبكتو الافريقيين[49] ... ويرى ا لدكتور عبد الجليل التميمي ان كتاب «نيل الابتهاج بتطـريز الديباج» لأحمد بـابا التمبكتي أوسع المؤلفات معـرفة بالثقافة الاسلامية والمغربية[50].

هـــذه اذن، شرعيـة اللقب الافـــريقي علينـــا، وان القسم المعجمي مخصص لتجسيم ذلك.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصـادر والمراجـع:

افريقيا: هي كامل القارة الافريقية: L'Afrique

افريقية: هي التسمية القديمة لبلاد تـونس (المغرب الاسلامي) وهي اللاتينية: Berbe-rie orientale

شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية ــ تعريب محمد مزالي والبشير سلامة ــ الدار التونسية للنشر ــ 1969 ــ صفحة 12ـ

عبد القادر محمـد سيلا: المسلمون في السينغال، كتاب الامـة، العدد 12، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ــ شوال 1406هـ، صفحة 51ـ

الـدكتور الحبيب الجنحـاني: المغـرب الاسـلامي، الحيـاة الاقتصاديـة والاجتماعيـة (3ـ4هـ/ 9ـ10م) ـ الدار التـونسية للنشر ـ تونس ـ الشر كة الـوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ 1978 ـ ص24ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: الروابط الثقافية المتبادلـة بين تونس **وليبيا ووسط وغرب افريقيـا خلال العصر** الحديث، منشورات المجلـة التاريخية المغـربية ــ **عدد 7ـــ تونس** 1981 ـ صفحة,10

Mustapha KRAIEM: La Tunisie Pré-Coloniale, Tome2 - STD, Tunis, 1973 - p69.

الدكتور الحبيب الجنحاني: مصدر سابق: ص 28ـ

الدكتور الحبيب الجنحاني: مصدر سابق: ص 29ـ

الدكتور الحبيب الجنحاني: مصدر سابق: ص 30ـ

الدكتور مصطفى كريم: مصدر سابق: ص 30ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص15ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص10ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص11ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص12ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص14ـ

سامـي البرقاوي: الملكيـة العقاريـة وعلاقـات الانتاج بجهـة تونس من سنـة 1875 إلى 1914ـ دار المعلمين العليا بسوسة، جامعة الوسط، 1989، سوسة صفحة 106ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص16ـ

يعقد فصلا حول تأثير الظاهرة الصوفية على الألقاب.

بكار بن حجاب: منظومة ابن حجاب في تاريخ امارة الترارزة، تحقيق وتعليق خديجة بنت الحسن، بيت الحكمة، قرطاج 1991، ص50ـ

بكار بن حجاب: مصدر سابق: صفحة 49ـ

بكار بن حجاب: تعليق المحققة الاستاذة خديجة بنت الحسن، مصدر سابق: صفحة 98ـ

الصادق الرزقي: الأغاني التونسية، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، 1989، تونس ـ صفحة 140ـ

فتحي زغندة: الطريقة السلامية في تونس، أشعارها وألحانها، بيت الحكمة، قرطاج 1991ـ

جمال حمدان: الجمهورية العربية الليبية، دراسة في الجغرافيا السياسية، عالم الكتاب، القاهرة 1973، صفحة 26ـ

جمال حمدان: مصدر سابق: صفحة 22ـ

نعقد فصلا خاصا باللقب العائلي الليبي المهاجر إلى تونس.

محمد فال بن بابه العلوي: كتاب التكملة في تاريخ امارتي البراكنة والترارزة ـــ تحقيق أحمد ولد الحسن ـــ بيت الحكمة، قرطاج ـــ 1986 صفحتا 44 و28ـ

بكار بن حجاب: مصدر سابق: صفحة 59ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص12ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص13ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص14ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص17ـ

نعقد فصلا خاصا للقب العائلي المهاجر إلى تونس من المغرب الاقصى.

الدكتور أحمد سرحال: النظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية ـــ دار الباحث ـــ لبنان ـــ بيروت ـــ الطبعة الاولى 1980 ـــ صفحة 461ـ

الكتاب الأبيض: المملكة المغربية ـــ وزارة الخارجية، الرباط 1960ـ

عبد القادر محمد سيلا: : مصدر سابق: ص33ـ

الحسن السائح: دفاعا عن الثقافة المغربية ـــ نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، 1968، صفحة 13ـ

محمد فال بن بابه العلوي: مصدر سابق، صفحة 15ـ

خديجة بنت الحسن: تحقيق منظومة ابن حجاب، مصدر سابق، صفحة 14ـ

(لمحة عن البلاد الموريتانية حتى الهجرة الحسانية).

المقدم عاتق بن غيث البلادي: معجم قبائل الحجاز، الجزء الثاني، دار مكة للنشر والتوزيع، 1979ـ صفحة 228ـ

عبد العزيز بن عبد الله: معلمة الفقه المالكي ـــ دار الغرب الاسلامي، بيروت ـــ لبنان 1983 ـ ص104ـ

روبار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، الجزء الأول، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ـــ 1988 صفحة317ـ

روبار برنشفيك: مصدر سابق، الجزء الثاني، صفحة76ـ

تعرضنا لذلك في الفصل الذي عقدناه عن اللقب البربري (لم ينشر).

نعقد فصلا عن اللقب العائلي المهاجر من الجزائر إلى تونس (لم ينشر).

الشيخ محمد الصادق بسيس: محمد بن عثمان السنوسي، حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، تونس (د.ت) ـ صفحة203ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص13ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص20ـ

الدكتور عبد الجليل التميمي: مصدر سابق: ص21ـ

النصّ الغائب وتجلياته في شعرنا الحديث

بقلم الاستاذ : الطاهر عوني

توطئـــــــة :

بالرّغم من القول بإستقلاليّة النصّ الشّعري بإعتباره مكوّنا لغويًا يتميّز بطبيعته الجماليّة وبقوانينه البلاغيّة الخاصّة به يذهب بعض الدّارسين ونقدة الأدب إلى الجزم بأنّ كل نصّ هو بالضرورة "لقيط" وما يدعم هذا الرأي ما قالته جوليا كريستيفا من أنّ «كلّ نصّ هو إمتصاص أو تحويل لوفرة من النّصوص الأخرى (1) إذ تتضح مرجعيّته بمجرّد تأمّلنا مختلف ملامحه فتقول بداهة بتعدد آبائه من ذلك أنّ النّصوص تعير وتستعير من بعضها البعض فالشّاعر مثلا لا يكتب من ذاكرة بيضاء مفرغة وإنّما يكتب من ذاكرة ترسّبت بها نصوص عديدة ومتنوّعة تعود بنا إلى فترة زمنيّة ورؤى ثقافيّة معيّنة لذلك عمد بعضهم إلى محاصرة هذه الظّاهرة وتسميتها بالنصّ الغائب. وهذا الأخير (النصّ الغائب) حسب الدّكتور إبراهيم رماني هو "مجموع النّصوص المتستّرة التي يحتويها النصّ الشّعري في بنيته وتعمل بشكل باطيء، عضويّ على تحقيق هذا النصّ وتشكّل دلالته، ومن ثمّ تتعطّل أيّة عمليّة فهم واستيعاب لهذا النصّ المركّب ولهذه الدّلالة الغامضة بدون معرفة حقيقيّة بهذا النصّ الغائب وتخريج معانيه وإضاءة ظلماته الرّمزيّة (2)

---

(1) محمّد بنّيس ـ ظاهرة الشّعر المعاصر بالمغرب ـ دار التّنوير. بيروت 1985 ص 251

(2) إبراهيم رماني ـ النصّ الغائب في الشعر العربي الحديث ـ مجلّة الوحدة السنة الخامسة العدد 49 أكتوبر 1988 ص 53.

2379

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكل نصّ هو عمليّة تمعّن في غيره من النّصوص وإعادة صياغتهما من خلال نموذج فكري وجمالي محدّد وفقا لقدرات فنيّة تتفاوت من نصّ شعري إلى آخر ومن شاعر إلى آخر لذلك وجب على كلّ من يحاول البـ ـث في ظاهرة الغموض في النصّ الشعري أن ينتبه إلى مسألة النصّ الغائب ويتساءل عن مدى حضور أو غياب الإحالة إلى نصّ آخر وذلك حتّى تكون قراءه للأبعاد الدّلاليّة وإزالة اللّبس والغموض من حولها صحيحة

تجليات النصّ الغائب ومرجعيّته :

من المتعارف عليه أنّ الحداثة قد قامت على شبه قطيعة مع الماضي والمتجسّد في الموروث الشعري إلا أنّنا لا يمكن أن نتمثّل نصّا قد دوّنت أسطره الشعريّة ونسجت صوره البلاغيّة من عدم. فالشّعراء المحدثون يعقدون الموروث الشّعري الموغل في القدم والمتدّ إلى قرون طويلة ماضية كمرجعيّة ومستندا ينطلقون منه في تشكيل بناء ودلالة نصوصهم الشّعريّة ويتم إحتواء هذا الموروث في القصائد العربية الحديثة بواحدة من ثلاث حالات وهي الإجترار وهو "التّعامل مع النصّ الغائب بوصفه نموذجا ثابتا غير قابل للتّناسخ والتّوالد والتّناسل لهذا يتمّ نقله غالبا من فضائه القديم إلى فضاء آخر جديد من غير أن توظّف طاقاته الخفيّة أو تحرّر إمكاناته المغمورة" (3) أو التّخطي وهو "مصطلح هيجلي يعني تجاوز الشيء بعد تمثّله، نفيه، بعد إستيعابه" (4) أو الإمتصاص وهو "التّعامل مع النصّ بوصفه نواة معنويّة ورمزيّة قابلة للتطوّر والتّناسخ" (5)

---

(3) محمد الغزّي ـ تجليات النصّ الغائب في القصيدة العربيّة المعاصرة ـ الصّباح سبتمبر 1990

(4) ـ (5) ـ نفس المصدر السابق

ومما يدعّم ما ذهبنا إليه من إعتماد الشعراء المحدثين الموروث الشّعري كمرجعيّة قول الشّاعر نزار قبّاني متحدثا عن لحظة كتابة القصيدة «أشعر بأنّ عشرة آلاف شاعر يكتبونها معي من طرفة والحطيئة إلى أبي تمّام والمتنبي وشوقي» (6) ويتمثل الموروث الشّعري في كل النّتاج الشّعري العربي والغربي. القديم والحديث، الفصيح والعامّي. وقد تفاوت الشّعراء المحدثون في معرفتهم بهذا النّتاج الشّعري أو ذاك وفي كيفيّة تعاملهم معاصر طريقة استغلاله وتوظيفه فنلفي أدونيس مثلا يستند إلى النصّ الشّعري الغربي الفرنسي (بيرس) إضافة إلى إستحضاره النصوص الصوفيّة (النفّري إبن عربي) ونلفي السيّاب والبيّاتي يعتمدان النصّ الشعري الأنغليزي (اليوت. ايدث ستويل) لذلك سنجنح الآن إلى إبراز مدى حضور النّصوص لغائبة العربيّة منها أو الغربيّة في شعرنا الحديث.

1/ الموروث الشّعري العربي :

إن الدّارس لبنية النصّ الشّعري الحديث والمتأمّل في مختلف وجوهه وملامحه يلاحظ شبه القطيعة التي أحدثها مع النّص الشّعري القديم على مختلف مستويات الكتابة من ذلك تخطيّة وتجاوزه لبعض التوابت التي سنّها العروضيّون وقنّنوا بها الشعر ورأوا ضرورة توفّرها في كل قصيدة كالبناء التّناظري للأبيات ووحدة البيت ووحدة التفعيلة ووحدة القافية إلا أنّ ذلك لم ينسف ولم يقطع خيط التّواصل بينهما والمتمثّل في ثبوت حضور النّص الغائب في قصائد بعض المحدثين وذلك وفق رؤى جديدة وحديثة تعيد قراءته والتأمل فيه وصياغته من جديد.

«تسعفني الكاس ولا تسعفني العبارة» (7)

---

(6) محي الدّين صبحي ـ مطارحات في فنّ القول ـ دمشق 1978 ـ ص 116

(7) محمد بنّيس ـ ظاهرة الشّعر المعاصر بالمغرب ـ ص 265

2381

فالمتأمل في هذه القولة لأحمد المجاطي يستنتج وبدون تردّد مدى إستحضار شاعرنا. لمعنى أحد أبيات قصائد مسلم بن الوليد الذي يقول فيه

قصيد وكاس كيف يلتقيان سبيلا هما في القلب يختلفان

لذلك وجب الإقرار باهة بوجود حلقة تواصل بين النّموذجين الشّعريّين القديم والحديث رغم وجود بعض التجاوزات التي أحدثها الشّعراء المحدثون وذلك للخروج بالقصيدة من طور التّقنين العروضي إلى طور الكتابة الحرّة وذلك على مستوى الشكل والبناء خاصّة إضافة إلى ذلك فقد تفطّن النقّاد إلى حضور النصّ الغائب في معنى شعري لبعض شعراء الخمسينات أمثال البيّاتي والسيّاب وذلك في قصائد من عاصرهم أو جاء من عبدهم وامثال على ذلك نسوق ما ذكره الشاعر الأخضر فلّوس في قصيدته «صفحة ضائعة من سفر أيّوب»

«منطرحا أصيح انهش الحجار :
اريد ان أموت يا إلاه» 8
فرّت من العينين أطيار الهوى
وتلفّعت أعشابها بالصّمت في الليل الحزين (9)

فالممعن النّظر في هذا المثال يلاحظ استخدام الشاعر لنماذج من شعر بدر شاكر السيّاب وتوظيفها في تشكيل نصّا الشّعري فالشاعر الأخضر فلّوس قد إعتمد في نسجه لخيوط نصّه الشّعري على الاحتواء. فقد إحتفظ بإحتواء بعض الألفاظ المكوّنة لأسطر القصيدة الشعريّة وتخطّاها

---

(8) بدر شاكر السيّاب ـ قصيدة أمام بالله ـ الأعمال الكاملة م 1 ص 139

(9) جريدة الشّعب ـ عدد 5927 ـ الجزائر. 17 / 10 / 1982<

ليحوي بعض الأسطر الشعريّة ذاتها كما وردت في النصّ الشّعري الأصلي وقد جسّد شاعرنا بذلك ظاهرة التناصّ وفي إطار حديثه في مقال بعنوان "إستراتيجيّة التّناص" يقول عبد الجبّار البصريّ... «... ونقاد الأدب المحدثون لا يقصدون أي معنى من هذه المعاني اللغويّة حين يتداولون مصطلح التّناصّ فقد إستقّوه من كلمة "النّصّ" التي تعني الأثر الأدبي أو الفنّي وتبعا لذلك فهو يدلّ على العلاقات المتبادلة بين النّصوص ويستخدم كأداة أساسيّة أو آليّة من آليّات تحليل النصّ ودراسته وفهمه ووضعه في المكان المناسب له» (10) ومن الملاحظ أن التناصّ يمكننا من دراسة علميّة للنصّ الأدبي تستوعب علاقاته المختلفة مع النّصوص السابقة والمعاصرة.

2/ الموروث الشّعري الغربي :

من البديهي أنّ الشعر العربي قد سبق له أن تواصل مع الشّعر الغربي في العهدين الكلاسيكي والرّومنسيّ إلا أنّ تلك العلاقة وحسب بعض الدّارسين والنّقاد لم تكن متينة بل كانت فاترة وسطحيّة وعلى عكس ذلك كان اللقاء الحديث عمليّة منسجمة للتّداخل، العميق والإلتحام الشّامل، و ذلك في إطار الحداثة العربيّة التي نتجت عن صدمتها بالحضارة الغربيّة لذلك فإن حضور النصّ الغائب الغربي لا يمكن نفيه بل يمكن إثباته في معظم النّصوص الشعريّة العربيّة الحديثة فمثلا نلفي زصداء النصّ الغائب الأليوتي في جلّ قصائد صلاح عبد الصّبور من ذلك قصيدة "الظلّ والصليب" التي تحدّث فيها عن قصّة ذلك الملاح الغريق :

ملاحنا هوى إلى قاع السّفينة واستكان

وجاش بالبكا بلاد مع... بلا لسان

---

(10) عبد الجبّار البصري ـ إستراتيجيّة التّناص الصّباح 15 جويلية 1986

ملاحنا مات قبيل الموت، حين ودّع الأصحاب

... والأحباب والزّمان والمكان

عادت إلى قمقمها حياته وانكمشت أعضاؤه ومال

ومدّ جسمه على خطّ الزّوال (11)

والتي تذكّرنا بدورها بما ذكره اليوت في قصيدته «الأرض اليباب» عن قصّة ذاك الملاّح الفينيقي الغريق الذي يدعى "فيلبياس" وهذا ما يبرز ويبيّن مدى تأثّر النصّ الشّعري العربي الذي دللنا عليه بإحدى نماذج صلاح عبد الصّبور الشعريّة بالنصّ الشّعري الغربي الذي حسّد ما ذكره اليوت في أحد نصوصه الشعريّة "الأرض اليباب" "Thewaste land" التي يقول فيها :

مات فيلبياس الفينيقي منذ أسبوعين

ونسي صياح طيور النّورس، وارتفاع مياه البحر

والكسب والخسارة

والتقت عظامه في هدوء

بتيّار منخفض فأخذ يعلو ويهبط

ويتمثل مراحل حياته كلّا وشبابه

إلى ان دخل الدوّامة (12)

وعلاوة على تأثر عبد الصّبور بقصائد اليوت فسيقّر المطّلع على قصيدة محمود درويش قصيدة "الأرض" لحضور النّص الأليوتي المتأمّل فيما ذكره محمود درويش

---

(11) صلاح عبد الصّبور ـ الدّيوان ـ م 1 ص 152

(12) اليوت ـ د / فائق متى، دار المعارف ـ القاهرة 1966 ص 132 ـ 183

"آذار اقسى الشّهور" واكثرها شبقا، ايّ

سيف سيعبر شهيقي وبين زفيري ولا يتكسّرا (13)

يستحضر حتما بدون تردّد بعض ممّا قاله اليوت وخاصّة في المقطع الأوّل من قصيدته :الأرض اليباب" ويرتسم في مخيّلته ذاك السّطر الشعري الأليوتي :

ابريل اشدّ الشّهور قسوة (14)

الذي يجسّد عمليّة التناصّ التي تؤكّد حضور النصّ الغائب الأليوتي في قصيدة محمود درويش "قصيدة الأرض" والتي من خلالها تتّضح علاقة النصّ الشعري العربي بنظيره الغربي والتي تتحكمها مقولة "مدى حضور النصّ الغائب" والمجسّدة لحلقة التّواصل بين النّموذجين الشّعريّين

3/ الموروث الحضاري :

يحتفظ حضور النصّ الغائب في شعرنا الحديث والمتمثّل في قصائد جلّ شعرائنا المحدثين بالنصّ الشّعري ويتجاوزه ليطال الموروث الحضاري ككل عربيّة وغربيّة على حدّ السّواء.

أ/ الموروث الحضاري العربي :

يتمحور الموروث الحضاري العربي حول الفلسفة والتّاريخ والدّين واللّغة وينتشر بين مكوّنات الأسطر الشعريّة إذ يتمعّنه الشّاعر ويتأمّل فيه ثمّ يعيد كتابته بكيفيّة تعبّر عن وعي وقدرة فنيّة تختلف من شاعر إلى أخر ومن الملاحظ أنّنا سنقتصر على ابراز عنصرين إثنين يحكمان

---

(13) محمود درويش ـ الدّيوان ص 618

(14) صلاح عبد الصّبور ـ نفس المصدر السابق ـ ص 152

2385

المتن الشّعري هما النصّ القرآني. والقول الصّوفي من ذلك ما يستخلصه النّاقد أو الدارس من بعد تفرّغه من دراسة إحدى قصائد بدر شاكر السيّاب "شناشيل بنت الجلبي" من توظيف للمخزون الدّيني المتمثّل في النصّ القرآني وتحديدا الآية الخامسة والعشرون (25) من سورة مريم "وهزّي إليك بجذع النّخلة تساقط عليك رطبا جنيّا" واستغلاله في استنباط قوله الشّعري ورسم صوره البلاغيّة وابرازه في ثوب شعري جديد :

تراقصت الفقائع وهي تفجر. انّه الرّطب
تساقط في يد العذراء وهي تهزّ في لهفة
بجذع النّخلة الفرعاء (15)

وإضافة إلى النصّ القرآني فقد مثّل التّراث المتصوفة المتجسد في كتابات النفّري وابن عربي وغيرهم من المصوّفة احد عناصر المتن الشّعري وذلك نتيجة لوجود حلفة تواصل بين التّجربة الشّعريّة الحديثة والتّجربة الصوفيّة وقد كان عديد الشعراء المعاصرين شغوفين ومتعلّقين بهذا الموروث الصّوفي والذي تجسّد من خلال قصائدهم مثل قصيدة «مذكّرات الصّوفي بشر الحافي» لصلاح عبد الصبور أو قصيدة «فصل المواقف» لأدونيس إضافة إلى قصيدة «قراءة في كتاب الطّواسيت للحلاّج» لعبد الواهاب البيّاتي وفي قصائد غيرهم من الشّعراء أمثال مجموعة شعراء القيروان (16) وندلّل على مدى تأثّرها بشعر المتصوّفة بأحد أبيات الشاعر محمّد الغزّي.

---

(15) بدر شاكر السيّاب. الأعمال الكاملة ـ م 1 ص 598
(16) شعراء القيروان تعني بهم ـ محمد الغزي "كتاب الماء كتاب الجر" ـ المنصف الوهايبي "ألواح" ـ حسين القهواجي "غراب النبؤات"

2386

فبقيّة كاسي ما شربوا ورثيت ثيابي ما لبسوا (17)

فالمتأمّل في هذا البيت الشّعري الذي أكّد فيه صاحبه فكرة العاشق الفرد والذي نزّل فيه نفسه منزلة العاشق المتفرّد والمتميّز عن سواه من العشّاق يستحضر بداهة ما قاله ابن الفارض الذي إعتبر نفسه قدوة للعاشقين وجعل من بقيّة العشاق والمحبّين جنده وتابعيه.

وماشرب العشّاق إلا بفيّتي ولاوردوا في الحبّ إلا على وردي (18)

لذلك فإنّ المخزون الصوفي والنّصوص القرآنيّة إضافة إلى العلوم والفلسفة والتاريخ قد مثّلت أهمّ عناصر المتن الشّعري وذلك نظرا لتوفّر الخيط الواصل بين النّموذجين.

ب / الموروث الحضاري الغربيّ :

يتلخّص هذا الموروث في عدّة عناصر منها الثّقافة الإشتراكيّة التي سادت فترة الخمسينات والفكر الوجودي علاوة على التّراث المسيحي وقد تسرّب هذا الموروث الحضاري عبر صدمة الحداثة وجعل منه بعض شعرائنا المحدثين محور نصوصهم الشعريّة.

وكمثال على ذلك نورد ما ذكره الشاعر يوسف الخال معبّرا بذلك عن موقفه من الحياة والوجود ككلّ وقد أضفى على رأيه وموقفه نظرة قاتمة يائسة تحمل في طّاتها الحيرة والقلق والخوف من المجهول والشيء الذي أبرز مدى تأثّره بمقولات الفلسفة الوجوديّة التي شملتها كتب جون

---

(17) محمد الغزّي ـ "كتاب الماء، كتاب الجمر" ـ دار د يميتير 1982 ص 22

(18) أنظر زكي مبارك ـ التصوّف الإسلام ج I

2387

بول سارتر وألبار كامي في تلك الفترة بفرنسا.

هو ذا الريح تعرّيني ... تعرّي

جسدي تلهب روحي

وصراخي بحّ في الغربة آه

أترى هذا الذي مات إله ؟ (19)

وعـــلاوة على ذلك فقد مثّل التّراث المسيحي المتمحور أساسا حول شخصيّة المسيح مصدر اشعريا ظلّ الشعراء المحدثون ينهلون منه مختلف مضامين وصور نصوصهم الشّعريّة منزّلينها في ثوب حديث من ذلك إعتماد خليل حاوي على الصورة المأساويّة التي رسمتها الأناجيل الأربعة لنهاية المسيح وكيفيّة بعثه من بعد صلبه وخروجه من القبر بعد دفنه بثلاثة أيّام لشدّ أزر تلاميذه الحواريّين وذلك لتجسيد الصورة المشوّهة والمأساويّة لإنبعاث الحداثة العربيّة.

ولماذا أعاد من حفرته

ميّتا كئيب

غير عرق ينزف الكبريت

مسودّ اللّهيب (20)

ومجمل القول فاءن الشعراء المحدثين قد استوعبوا الموروث الشعري والحضاري العربي والغربي ووظّفوه في نسج صورهم الشعريّة وتشكيل بناء قصائدهم بكيفيّة تعبّر عن وعي وقدرة فنيّة تتباين من شاعر إلى آخر ومن نصّ شعري إلى آخر.

---

(19) يوسف الخال، قصائد في الأربعين ـ الآثار الكاملة ـ ص ص 217 ـ 218

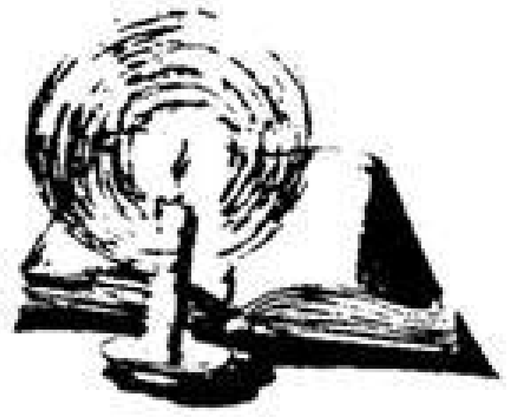
(20) خليل حاوي ـ قصيدة لعازر عام 1962 ـ الدّيوان ص 237

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

III / خـــاتمـــــة :

أنّ الدارس لمختلف قصائد شعرائنا المحدثين كالبيّاتي والسيّاب وصلاح عبد الصهبور ومحمود درويش وادونيس وغيرهم من الشعراء ينتبه منذ المقطع الأوّل إلى وجود الإحالة على الآخر "النصّ الغائب" والذي تراوحت مرجعيّته بين الشّعري والنّثري، بين العربي والغربي، بين الحديث والقديم، بين العامي والفصيح لذلك فالنصّ الشّعري العربي الحديث لم يكن خاليا من آثار النّصوص الشّعرية أو النّثريّة السابقة له. الشيء الذي يدعمّ ما ذهب إليه معظم الدّارسين والنّاقدين من أنّ الشاعر يدوّن قصيدته من خلال مخيّلة وذاكرة ترسّبت فيها مئات النّصوص الشّعريّة والنّثريّة لا من خلال ذاكرة بيضاء مفرغة وخالية من كلّ ماهو سابقٌ عن زمن كتابة ذاك النصّ الشّعري ممّا يؤيّد ما ذهب إليه رولان بارط من أنّ كل نص "لقيط" بالضّرورة وله عديد الآباء الشيء الذي يؤكّد حضور النصّ السّابق في النصّ اللاّحق وخاصّة في مجال الشّعر وبالتحديد الحديث منه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



كســـرى

لوحة طبيعية فتانة... لم يوفها المبدعون حقها...

بقلم: المولدي الكنزيزي

ذات مرة كنت مشدودا بمتابعة أحد البرامج التلفزية الوطنية حين ألقى المنتج سؤالا عن موقع كسرى وخصائصها وبعض المعلومات الاضافية حولها... كانت الاجابات غير مقنعة وأحيانا مقرفة بدليل أن أحدهم قال وكأنه واثق من نفسه: «إنها توجد بالجنوب التونسي قرب جرجيس»... وقد يكون أطلق إجابته جِزافاً طمعاً في الحصول على الجائزة.

لذلك وجدتني مدفوعاً للمساهمة في التعريف بقرية كسرى تعميماً للفائدة وفي ذلك إيفاء لها بحقها:

على بعد عشرين كلمترا الى الجنوب من مدينة مكثر تنفلت طريق الى اليسار وتنثني بك في التواء وصعود مملين لتجد في نهايتها قرية حالمة.. ساحرة.. متربعة في أحضان جبل صخري... تراقب من تحتها سفوحاً مترامية الأطراف تناثرت وتناسقت على امتداد البصر وقد غرست تيناً وزيتوناً تسبح أشجارهما في الأفق لتمتع الناظرين وتوحي لهم بأمجاد الزمان...

كسرى... لها مغناطيس خفي يجلب الزائر فيشده اليها ويكبله بخيوط رقيقة نسجت من جمال رائع فتان تنساب نغماته مع الأثير... فتتراقص مع الشعاع الصافي وتغمر الروح.

وسط القرية الحالمة يتدفق الماء رقراقاً بين الصخور مصدراً خريراً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هامساً... يغـازل الوجود والكائنـات عند مروره بقلبها وينثـر معاني الوحي والإلهام إلى أن يضيع في الخمائل.

في كسرى... الماء زلال... والإنســان يعيش البســاطــة في روعتهــا والأصالــة في صدقهــا والقناعــة في عمقها والتلقـائية في صفـائها... جمال في الطبيعــة وفي الأخلاق وهـدوء في التعـامل مع النـاس والواقع... كسرى فيهـا السكـون والأريحية... يتشبث بها أهلهـا في حـوارهم مع الحياة ومقـارعتهم للصعاب فلا يعرف المستحيل بينهم مكاناً...

لم تتوفـر عن كسرى مصادر تاريخيـة واضحة عـدا بعض المحاولات الجريئة، لكن الثابت أنها قد مرت بكـل الأحقاب والفترات التي عرفتها مناطق التل الغربي ومـدنه منذ البرابرة والفنيقيين والـرومان خاصــة وهي من أكثر المناطق ارتفاعاً عن سطح البحر في سلسلة الظهر التونسي...

في الذاكرة الشعبية، هناك روايــة من المؤكد أنها من صنع الخيال لكنها لا تخلو من مغزى... تقول الرواية: يحكى أن كسرى أنو شروان كانت له بنت على غايــة من الجمال وكان يحبهـا كثيراً وصادف أن مـرضت بضيق التنفس وعجز الأطباء في علاجها فنصحــوه بإيفادها الى هذا المكان حيث الهواء العليل الشافي، فارتحل بها من بلاد فـارس وأقام بها في المنطقة وبنى لها قصراً فوق الصـخور الى أن شفيت تماماً فقفل عائداً الى بلاده ماراً بالقيروان وليبيا..؟!

إنها بدون شك خرافــة من نسج الخيال الشعبي لتفسير اسم كسرى التي سميت باسم أنو شروان ولإبراز الهواء النقي الذي تمتاز به هذه المنطقة الجميلة ثم لاعطاء مفهوم تاريخي للآثـار الموجودة فوق الربوة... وإن الذي يمكن تأكيده أن تلك الآثار رومانية وأن المتمعن في بناءات القرية المتداخلة بين الصـخـور ليشعر أنــه يعيش الزمن البربــري ولعل ما يـؤكد ذلك مــا ورد في دراسة الأستاذ محمد الحبيب حمادي المنشــورة بمجلة «الاتحاف» في عددها الأول (جويليــة 1985) إذ يقول: «... ويـذهب بعض المؤرخين الى القول بأن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البربر عرفوا بدون شك حياة الحضر منذ العصور الحجرية وفي مقدمة الأدلة على ذلك مساكن الحجارة الكثيرة المكتشفة غربي البلاد التونسية، الأمر الذي يجعلنا أمـام مرحلة أولى للفن المعماري ومـا تزال «كسرى» (ولاية سليـانة) حتى اليوم المثال الحي المتكامل لروعة الحياة في القرية الفلاحية الجبلية لولا النشاز الذي بدأ يدخل على هيئتها»(1).

لقد أصبحت كسرى اليوم منقسمة الى اثنتين، القـديمة التي وصفناها وهي الأصليـة، والجديدة التي انبعثت مع إحـداث المعتمديـة في سنة 1979 فوق شبـه المنبسط الذي تشرف عليه كسرى العتيقـة بعدمـا ثبت أن التوسع العمراني فيها لم يعـد ممكناً ولابد من توفير المرافق اللازمـة للحياة العصرية كمقـر المعتمـدية والبلـديـة والمعهـد الثانـوي والمستشفى المحلي والمكتبـة العمومية وغير ذلك مما ينعم به السكـان اليوم، إلا أن عقلية التشبث بالاصل مازالت طاغية على الأذهان والعقـول حتى تبقى كسرى شامخة في علوها وفي رونقها الأصيل.

لابد من الإشـارة في الختام الى أن لهذه القريـة من المقومات التقليـدية من حيث غزارة التراث والمعـالم الأثرية وعنـاصر السياحة مـا يجعل الجهات المختصة مـدعوة لـوضعها في الاعتبـار. فالمنـاظر الطبيعيـة الخلابة والهواء النقي والغابات الوارفة الكثيفة التي تحيـط بالقرية في كل الاتجاهات والثروة الحيوانية الوحشية وحياة الصيد البري وتربية النحل وانتاج العسل الصافي، كلهـا من العـوامل التي يمكن أن تجعل من كسرى مـركـزا سيـاحيـا هـامـا يستطاب فيه العيش.

فعسى أن تلتفت الأنظار الى هـذه المدينة لتستغل سياحيـا وهي قادرة على توفير الراحة والهدوء لزوارها بما حبَاها الله من جمال نادر.

---

(1) وفي هذا يقـول الاستاذ عبد القادر الهاني في كتـابه: صفحات من تاريخ سليـانة الحديث ص: 7 «وأهل جامة وكسرى، اللتين قد يكون بعض سكانهاحافظوا على تواصلهم العرقي وتماسكهم العائلي ضمن نسيج عمـراني متميز. وليست كسرى غير واحـدة من أهم المدن البربـرية المنتشرة في هـذه الجهـة وأشهرهـا على الإطلاق».

عـبـقـريـة وال...

بقلـم : ***احمد عبد الوهاب الهاني***

تعود الناس بحكم المألوف، عندما يسمعون كلمة... عبقري... ان يتصوروا انها تعني : بالمفهوم الغالب- موسيقارا موهوبا او شاعدا مبدعا او عالما كبيرا او مكتشفا عظيما، او سياسيا محنكا، او قائدا حربيا دوخ البلاد، واخضع العباد، وانعقدت له ألوية النصر في كض صدام... أو... أ... اما ان يتصوروا ان "العبقرية" ذات علاقة بالادارة، او تخطيط المدن، وتجيلها، وتنظيمها او بالمقدرة الفذة على تسيير البشر وحملهم على العمل الكبير في حماس وتفان منقطعي النظير فهذا ما لا يخطر على بال النسا... لذلك احب ان أنبه الى ان مفهوم ... "العبقرية" يتسع في الحقيقة ليشمل كل عمل جاد رائع وكانه الوحي ينزل على صاحبه فتتفتح له أبواب الفكر وتتمهد أمامه السبل لحل المعلقات بطريقة لا تتأتى لغيره، وان خلع اضراسه على غر ما أحسه - الشاعر العربي المشهور : الفرزدق عندما قال : احيانا يكون خلع ضرس من اضراس اهون علي من قول بيت من الشعر...

العبقرية اذا قدرة عجيبة فوق مستوى القدرات المألوفة على ابداع العجائب التي يحسبها العاديون من الناس مستحيلا ويراها العبقري سهلة المنال...

والوالي السيد محمد بن رجب هو عبقري لاشك في ميادينه، وشاهد حي على ان العبقرية لا تخص ميادين بعينها ولا صنفا من البشر دون غيرهم فهما وجد الفكر، وتوفرت الارادة المصممة، وحصل العشق للموضوع. أشرقت العبقرية وتجلت.

وهذا الوالي الذي ستحدث عنه هو وال من طراز فريد تهيأ له من المواهب والحوافز ما لم يتهيأ لغيره فقد منح امكانيات كبيرة في ذاته، ثم منح حوافز رائعة في محيطه - والحوافز كما هو معروف عامل فعال في النجاح - لقد انعم الله على السيد محمد بن رجب بما يمكن تسميته بزوجة العظيم" وفي الاقوال المأثورة... وراء كل عظيم امرة وهذا صحيح لانها حينئذ لابد ان تكون امراة مساعدة مخلصة لعملها ولتلاميدها ناجحة في حياتها... ذات ايحاء وتلك هي خصالها فعلا حسبما يتحدث به أهل سليانة.

لذلك لا غرابة ان يصبح السيد محمد بن رجب. اضافة الى امكانياته الشخصية حديث الناس عامة في البلاد التي تقلد فيها تلك المسؤولية الكبيرة وتحول عندهم الى ما يشبه الاسطورة، انه لا يعرف المستحيل لا يكف عن العمل، والاصلاح، والانشاء لا يعرف الكلل الى قلبه سبيلا ، يزور مواطن العمل دائما معلنا حينا ومفاجئا في احايين اخرى يبدأ العملة والموظفون يومهم يكون هو قد بدأ ... ياله من قدوة رئعة، في عالم ابن رجب لا مكان للكسالى. ولا للمتيبين ولا للسابحين في الاوهام ولا للمحسوبين على الاعمال وهم لا يعملون ولا للذين يثقلون كاهل الميزانيات وهم لا ينتجون مشاريعه لا تنتهي في كل مجال في الحياة المدنية.

زر سيدي بوزيد، او سليانة ، او قفصة، او بنزرت الان... وهي البلدان التي عمل فيها واليا..." زرها واسال عن آثار ابن رجب واخباره فسترى عجبا وستسمع اعجب "من حفر الابار ومد السواقي وتفجير الينابيع واحداث البساتين ، وتمهيد الطرق ورصف الارصفة، وغرس الاشجار داخل المدن، وخارجها واذا كانت ميزانية الدولة لا تتسع لطموحات ابن رجب فانه لا يعجز عن تمويل مشاريعه ، ولا يتوقف "وهذا من دلائل عبقريتة... انه يوجد التمويل ولست ادري كيف"، ولكن الذين يعملون في جيهته لاشك يعرفون...

ولكم شعرت بالاسف عندما اعلموني في سليانة بان تشجير المدينة وتنظيم ارصفتها توقف يوم رحل ابن رجب ومن الطريف المؤسف ان التشجير والرصف انتهى عندنا في نهاية الجزء الشرقي من المدينة مما اضطرني بعد ذلك بمدة الى الاعتماد على نفسي وعلى البلدية مناصفة لرصف مقدمة المنزل.

فمن أين للناس بمثل ابن رجب : يحدث النهضة ويتابعها. حكى لي مواطن يدعى يونس من أرياف سليانة الجنوبية قرب قرية سيدي حمادة قال : ملكت قليلا من الارض قبل تولي ابن رجب وكلني لم استطع ان احدث بها شيئا حتى جاء هذا الوالي الصالح فاعانني على اصلاح ارضي : اعانني على حفر بئر اعانة مادية وأدبية مادية بالمال، وادبية، برفع روحي المعنوية. تصور انه كان يزورني شخصيا ... كان يوقف مرسداسه على جانب الطريق ثم يجلس الى جانبي وانا احفر ويقدم لي ما يحن له من توجيهات... لا اخفي عليك يا سيدي اني قدرت هذا الرجل كثيرا واثار اعجابي وعجبني لاني مواطن بسيط جدا : لست من الاغنياء، ولا اصحاب الحيثيات وظل يزورني ويتفقدني حتى بعد ان نبع الماء ولم يتوقف الا عندما رحل عن سليانة، رحل بان رجب لكنه ترك جنة صغيرة ليونس فيها الاخضرار، والظل الظليل، والثمار الشهية. كما ترك له ذكرى العلاقة العطرة كلما تذكرها يونس احس بالانتشاء وراحة الاوصال والابهة ... ألم يصبح وهو مواطن عادي صديقا للوالي وما ادراك ما الوالي ممثل رئيس الجمهورية في منطقته، ومما زاد يونس تشخصا وزهوا -فيما يحكي هو ما كان يصله من سلام، ومن دعوات من السيد ابن رجب ليزوره في مكان ادارته سواء في - قفصة او بنزرت... عجبا ، وتحية لهذه العلاقات التي تقوم بين عظماء الناس وبين بسطائهم لا شك انها تدل على العظمة الحقيقية : ثقة بالنفس، وتواضع، وايمان بالخير، وحب له... ذلك ان العظمة قوة، وليست ضعفا."

من الحكايات التي تروي عنه في قفصة : ان رغبته تعلقت ذات يوم بزيارة مكان ليس من السهل ان يزار فنصحه البعض بان لا يفعل لكنه فعل ولم يحدث شيء فتعجبت القوم من ذلك ومن شجاعة هذا الوالي ومن يوم ادركوا انه طراز رفيع من الرجال، والمسؤولين، ان الحكايات والطرائف العجيبة عن أعمال ابن رجب وعن افضاله على المواطنين لا تنتهي، ولا تحصى عين في بنزرت منذ ما يزيد عن العام فأحدث بها بالمدن والولاية ما لم يكن يتصور ان يحدث في الاحقاب الطويلة . فما بالك بعام واحد من الزمن كيف يعمل هذا الرجل؟ كيف يجند

الناس للعمل كيف يجمع الامكانيات المختلفة وكيف تتم الاعمال بالسرعة التي تتم بها على يده كيف تتهيأ له الافكار الاصلاحية وكيف يقتنع بها اقتناعا متحمسا يمنع عنه الراحة حتى ينجز ما فكر فيه وهذه المرحلة صعبة ودقيقة في حياة الرجال وهي الاساس (فالفرق بين رجل وآخر، هو الفكر اولا ثم الحماس والارادة ثانيا ، هناك فرق بين مسؤول ينفق الاموال المرصودة سنويا دون ان تتسع لمشاريعه، فيبحث عن تمويلات اخرى بصفة اجتهادية شخصية من اجل المصلحة العامة التي كان آمن بها ايمانا ملحا وبين مسؤول لا يهتدي الى الافكار الاصلاحية او يهتدي ولكنه لا يتحمس للانجار فتظل الميزانية نائمة لا تصرف وتظهر الفروق بعد ذلك بين جهة نامية قافزة وجهة راكدة متخلفة...)

عرفت بنزرت منذ اثنين وعشرين عاما فما رأيت فيها من الانشاءات ما شاهدته في خلال العام الماضي والمسيرة الحضارية متواصلة - أرصفة جديدة تمتد الى آخر "الكورنيش، احداث طرقات وتوسيع اخرى تجميل المدينة والحدائق العناية بالمعالم القديمة، جهود ... جبارة تبذل في كل ميدان وفي كل اتجاه اضافة الى مواقف طريفة شجاعة لاعانة المواطنين ومن البديهي جدا والموضوعي ان لا يكون في فريق رجل فذ كالرئيس زين العابدين بن علي الا رجال عباقرة حتى يكونوا في مستوى عبقريته وعظمته وقيمه حتى يستطيعوا القيام بمهمة الاصلاح والبناء الجديد، وفي مستوى المسؤولية الي يتطلبها صنع الحضارات - فالحضارات ليست لعبا، ولا هي كلام منمق، وتظاهرات وأبهات براقة... انما هي ثمار زكية للفكر الجاد الفعال النشط الذي يسخر الكون بطاقاته للانسان. ثم انه من البديهي ايضا ان لا يقحم العاديون من الناس انفسهم فيما ليسوا اهلا له، وان يدركوا ان المسؤولية كما يقال تكليف لا تشريف يجب ان يقتصروا على الامور العادية تمشيا مع نظرية أفلاطون في مدينة الفاضلة التي تقول بان الناس بالمعادن - فمن كان معدنه من النحاس او الحديد لا تسند اليه صلاحيات من كان معدنه من الذهب والا فان الامور تسوء.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحضارة كفاح جاد، ذكي، واع، يحتاج الى الافذاذ من الرجال، في عهد هذا الرئيس المبدع الصادق ينبغي ان يتحمل المبدعون المسؤولية من اجل انطلاق قوي... هذا الرئيس الذي يسير او يطير الى الشعب في اصعب المناطق واكثرها سوءا ليقف على حالة الناس بنفسه دون توسيط واسطه ليلمس معاناتهم بنفسه ويتعرف على حاجياتهم : هو رئيس صادق حقا جاد حقا، موهوب لا شك ، هو طراز جديد ربما يظهر لاول مرة في التاريخ مذكرا بما كان يفعل هارون الرشيد ايام عز بغداد... ويمتاز الرئيس بانه كان يكشف عن نفسه عند الزيارة ويتحدث الى الرعية ويسأل عن احتياجاتهم - يعود ويعقد المجالس لحل المصاعب، رئيس هذا طرازه جدير بان يحتذى ويحاط بالعباقرة الصالحين، حينئذ تتدفق انهار الخير وتشرق شمس حضارة حقيقية : حضارة الفعل المجدي للتغلب على المصاعب. لا حضارة الكلام والكبرياء المزيف فبقدر عزائم الرجال تاتي العزائم : كما قال الشاعر الخالد : المتنبي " :

على قدر اهل العزم تاتي العزائم وتاتي على قدر الكرام المكارم

وأذا احببنا ان نصير عظماء في نظر انفسنا وفي نظر الاجيال المتعاقبة فعلينا ان نصنع الاشياء العظيمة ، لانه كما قال الشاعر : تلك آثارنا تدل علينا : فانظر بعدنا الى الاثار فالاثار تدل على مستوى الصحابها.

قـــصـــة

الأرض المـــرضعة

بقلم : صالح باشا

(نادي الشعر والقصة)

بالمكنين

ترهقك لكنها تشدك اليها، تطعمك، تسقيك، تكفيك خيراتها، وهذا الحقل بين يديك، صرت تقلب الارض البور، فتراها تبدل وجهها، تستدرج المزن لينزل غيثا مدرارا، تستعطفه بلواحظها الخضر تغتسل تربتها، فيتفتت طوبها هشا ويتوزع مخزونه :الآزوتي" على كل الزرع يعاد الحرث، امام المقود طفل، اغراه ابوه بان يخدم الارض، دربه كيف يحفظ الدرس ويشد الازر، رغم صغر سنه اعماله تثلج الصدر، يخاف عليه من التعب، يستدعيه للجلوس في ظل شجيرات اللوز، يقربه اليه ويثني عليه : يابني انت رائع اليوم، لقد قمت بعمل لا يقدر عليه رجلان، فنل قليلا من الراحة، اباركك يا لطفي واتمنى لك مستقبلا زاهرا في دراستك وسوف تصبح مثل "جرالو"

- من هو "جرالو" يا ابي ؟

- مهلا يا لطفي سوف اقص عليك قصة هذا الرجل الذي اصبح مطرب الامثال في... !

- في قوة البنية وخدمة الارض ؟

- "جرالو" هذا طويل القامة ، مهيب الجانب وشهم ...لا يعصي لوالديه امرا، شغوف بخدمة الارض وزراعتها وفلحها، سلوكه قويم، عاقل ورصين، صادفتهم سنين عجاف، اتت على الاخضر واليابس والمدخرات من الحبوب وغيرها، وحل فصل الخريف ممطر فتنفس "جرالو" الصعداء وفرح بالغيث النافع، لكن مأساته اشتدت اكثر حين تذكر ان الفلح لابد له من دابة فدوابه ماتت جميعا اثناء "الزمة" ونفذت كذلك الزريعة، مهما كان فقد اضطر لاستهلاكها ووجد نفسه مسكون بالحسرة على ما فرط فيه، ،نظرا لقلة ما باليد فلا مال ولا متاع يبيعه ليستفيد من ثمنه، بات ليلته حائرا يتدبر امرا زاد عذابه عندما ناداه ابوه يحرصانه على الحرث والبذر، عندها ضاقت امامه المسالك واسودت الدنيا في عينيه، وشعر بانهزامه امام قوة عضلاته، يقابله حرصه الشديد على طاعة والديه ... فكر "جرالو" مليا واقر العزم على الخروج من هذه الازمة، لابد ان يرضي والديه مهما كان الحل فكر في "الحداش" لكن استدرك ان هذا الرجل قوي المراس، شديد البطش رزقه كثير لكنه على جانب كبير من البخل قاس القلب لا يرحم احدا، ومهما بذلت في اقناعه لايلين ها ... ها ... انا وجدتها، ويجب ان انفذها اعتزمت عليه في الحال ... نعم، في حال نعم في هذه الليلة، وفي حلكة هذا الظلام، انه وقت مناسب هو لايبعدعنا كثيرا بضعة اميال مسير ساعة تقريبا وسوف انال مرغوبي، اوه ... اوه ... تذكرت ... اف ... اف ... يالكلبه المتوحش انه اشرس منه ... حسنا هذا الجربوع ربما يكون نافعا، تعالى الى هنا يا ابن الجربوعة ... هه ... صابة هذه السنة متوقعة عليك ... هنا في الجهة الاخرى نبات مخدر، ساجربه على الكلب وادفع بهذا الجربوع مسلوخا مخدرا لعله يساعدني في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستيلاء على الغنيمة.

تسلل خارج مزرعة ابويه تحت جنح الظلام واسرع الخطى ليصل الى رغبته قبل ان يكشفه الصباح... ولما لاحت له "قريشة" "الحداش" حاول ان يثير فضول الكلب ليبعده عن مكان الغنيمة ويقدم تلك الوليمة الجاهزة، نادى الكلب ثم اختفى وراء الاكمة ... كرّ الكلب كرة خفيفة رافعا راسه الى الاعلى كانه يتشمم وبدأ يتقدم ورائحة اللحم تغريه الى ان وصل الى الجربوع المسلوخ المخدر فانهمك يأكل عندئذ انسل "جرالوا" باحثا عن الغنيمة، لم يسر طويلا فقد قابله عجل سمين مربوط الى شجرة وارفة، وفي خفة مذهلة خلصه من وثاقة وادخل رأسه وكتفيه تحته ورفعه ثم جرى به، وكل مافي ضيعة "الحداش" نائم.

افاق صاحب الضيعة على الحدث الغريب شيء لا يصدق انها تحدث لاول مرة ... ! الفرتول الاسود غادر الضيعة ولم يستأذن ! لم يترك حتى آثار اقدامه على الارض ! الكلب مخدر حتى الثمالة ... ومستحيل ان تكون هذه الحادثة من صنع البشر ! كيف يكون ذلك ممكنا ! هل طار في الجو ؟! ام رفعه الجان ؟! استعمل "الحداش" ختبرته وقوة فراسته، ثم التفت الى معاونيه والحسرة تأكل قلبه قائلا لهم :

- اتركوا هذا الموضوع لي وحدي، ولا تتحدثوا به لاحد مهما كان ... انها فضيحة!

وتابع آثار خطوات آدمية...

- هاهي تبدو عميقة على سطح الارض المبللة بالمطر، قد انتابته وحشة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شديدة، عندما ادرك ذلك، وكلماامدت به الطريق يتوضح اكثر انها نفس الاقدام التي طالعته في المرة الأولى، اقدام أدمي قوته فوق التصور ... الخطوات تفصح عن صاحبها الذي يحمل شيئا ثقيلا، تصور "الحداش" ثقل فرتوله ومدى قوة الرجل يحمله، فازدادت حيرته واضطربت خطواته، ورغم انزعاجه تعلقت همته بان يتعرف على الرجل.

- باللغرابة، كم شق حقولا واجتاز حواجز التين الشوكي لكأنه يحمل حملا خفيفا !!

علت الشمس والجو خريفي رطب ممزوج برائحة التراب المحروث، وبينما "الحداش" يحقق في مجرى الجرة، اقلقته ذبابة تارة تقرصه واخرى تدب على حواس وجهه واعياه امرها، وبالصدفة حصلت في كفه التي احكم غلقها وعز عليه ان يسحقها فالتفت يمنة كانه يغير اتجاهه ورمى بالذبابة البليدة، ماذا يقابله ؟! "عجله الفحل" موثوق الى زيتونة كبيرة ! اتجه نحوه مسرعا ولما اقترب قليلا راى حذوه رجلا ممددا في مكانه ثم تحقق من ملامح "النائم" فاذا به امام شاب في عنفوانه، طويل القامة ممتلئ الجسم، عضلاته مفتولة كانها حبال ملوية زينت صدره وزنديه، صفحة وجهه يكسوها بياض، انتبه "الحداش" من دهشته مسكين رغم حقدي عليه انه يستلقي من شدة التعب الى جانب غنيمته ليرتاح من عناء الحمل، فزاد اعجابه بالرجل، اسقط ما في يده للانتقام منه، وفكر بان يرجع من حيث انطلق من غير ان يحرجه ولا يوقظه، غير انه صدرت منه "كحكحة" انتبه لها "جرالوا" مذعرا ! فرك عينيه فقابله الرجل مشدوها مشدودا الى خطواته كانه جذع نخلة خاوية !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استوى "جرالوا" في عزة نفس واستقبل ضيفه بكل حفاوة وتبجيل :

- اهلا بك، حللت في ضيعتك، تقدم تشرفنا...

ورد الرجل متلعثما :

- شـــ.. كـ... ر...ا على الحفاوة ! انا جئت لـــ...

- تفضل ، تفضل هيا نجلس على تلك الربوة الصغيرة قرب "القريشة" انها مكاني المفضل للجلوس، قبل يوم فقط كنت مهموما مكمودا، اما الآن فاني في قمة السعادة، حسنا انت ضيفي وليس في الامر سرا، فانا رجل شهم ابن كرام واشراف، لكن سامح الله سنينا جافة اشتدت فيها ازمتي، وها قد نزل الغيث النافع ونأمل في صابة تحقق اكتفاءنا، لي بالماشية والمؤونة ؟! فلقد اخذها منا الجفاف...

- وكيف اهتديت الى حل ناجع !

- كيف تصرفت ؟

- انظر ذلك الفرتول الاسود ! ... انه غنم كبير لايضاهيه ثمن ... عليه تتوقف صابتي هذا العام ... ورضاء والدي اغلى عندي من كل القيم، هما على شفا حفرة من الكبر سأحقق املهما في الحرث والبذر.

- كيف اني لم افهم ؟

- ساوضح لك لاتعتقد اني سرقته ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- بماذا تعلل السرقة ؟

- اني استلفته بطريقتي الخاصة وها انت ضيفي اريدك شاهدا حالما اتمم الحرث ارجعه الى صاحبه، ربما تأخذك الريبة من كلامي، ولكن صدقني ان صاحب هذا العجل متحجر القلب لا يرحم، حقق ثروة طائلة من عرق العمال ودم الفقراء، اعلم يا صاحبي ان هذا العجل سأحرث عليه ارضي، وانه لن يلقي العناية واللعلف اللازمين، لكني ساعتذر لصاحبه واحمله رسالة ودّ واعتذار كي يرحم الضعفاء ويشد ازرهم. انتبه "جرالو" لنفسه واحس بالخجل امام ضيفه، انه اخل بواجب الضيافة، ان لامه دجاجة تنتفع ببيضها هي عزيزة عليها لكن لابأس...

استأذن ضيفه وانصرف متجها نحو مبرك الدجاجة، اخذها بين يديه ثم دخل على امه مهرولا :

- امي، امي حماك الله، لقد اصاب هذه الدجاجة مكروه، لست ادرى ماحل بها، بينما كنت موجودا على عين المكان رأيتها تنتفض فذبحتها وخلصتها من العذاب الذي الم بها !

كمدت امه من هول المفاجأة !

- :يا ناري على دجاجتي"

- خذي يا اماه، لقد تركت لك هذه البيضة، انها ساخنة وضعتها في اللحظات الاخيرة من عمرها.

-"يابني"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ترحمي عليها يا امي اثناء الطبخ، واعدي لنا طعاما يليق بضيف كريم حل بيننا...

- يا ابني قل لي، افعلتها ؟

- سامحيني يا امي انت تعلمين انه ليس لدينا ما نقدمه لضيفنا ولولا دجاجتك لكنا من الخاسرين وسأعوضك عنها بعد الصابة، سامحيني يا امي ومعزتي عندك، انت كريمة وجدي رحمه الله كان كريما.

- والله لولا ما ذكرت جدك بخير لما سامحتك !

- حسنا ساذهب الى ضيفي مطمئنا.

رجع "الحداش" الى ضيعته ووعى الدرس، لم يكلم "جرالو" عن العجل ولم ينبس ببنت شفة لما وجد فيه من اخلاق عالية رغم احتياجه، قرر ان يكون مثله، ويغير صورته القبيحة التي سمعها منه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الصباح :

- يا "جرالو" ... "يا جرالو" انظر انه يحرث ارضه على "الفحل"

- اسمع انه يغني ...

- اعد النداء ...

- "يا جرالو"

- ها هو قد اوقف ماشيته ...

- انه يتقدم ...

- اهلا بكما، تفضلا، اين تتجهان بهذا الحمل ...

- انه لك "ياجرالو" قمح وشعير وحمص وفول وتوابل كي تبذر ارضك !

- وهذا الجمل تتخذه للحرث !

- وهذه مؤونة تكفيك حتى الصابة !

- والحمار لتركبه، وهذه البقرة تدربلبنها عليكم ...

- لها العجل حتى تكسبوا قطيعا ...

- لكن من اين نزل علينا هذا "الغيث" ؟!

- انت بطل "ياجرالو" وسيدي "الحداش" كان ضيفك وهو يحب الرجل الشهم !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- لكن هذه المرة تغيرت فيه اشياء كثيرة ...

- سأعتذر لك يا صديقي، كم كان قلبك سليما وعقلك حكيما

- بلغاه سلامي ... وانا مدين له بصابتي هذه السنة.

وسنكون دائما متعاونين متضامنين...

لقد ضاقت الناس ذرعا بالجفاف، الى درجة انك ترى الغابة تعج بعباد الله يقلبون الارض يتسابقون، ويتلاحقون في تهيئتها للبذر، وفي الاثناء بدأ الفلاحون يتحدثون ويتهامسون عن تبدل "الحداش" في اقراض الناس ومساعدتهم

وعلق احدهم :

- كيف بدأ يفعل الخير ؟!

- قالوا رجله انكسرت !

سمع "جرالو" باصابة صديقه "الحداش" فهرع اليه مستلطفا ...

- لقد سبقني اللطف يا صاحبي، كيف حالك ؟

- الحمد لله قلبي عمرته بالايمان يا "جرالو" وزيارتك هذه ادخلت علي كثيرا من السرور ...

- والله يا اخي كنت اتمنى ان ازورك في ظروف احسن، لكنها مشيئة الله ... انا مدين لك باشياء كثيرة لكن ...

- لا تكمل يا "جرالو" ولا تعد ابدا لمثل هذا الحديث ... انت الآن اكثر من صديق، فقد صرت فردا من العائلة، انسيت انك حققت ما عجزت عن تحقيقه ابنتي "سارة"

- انا، العفو يا سيدي !

- نعم انت يا "جرالو" انا المدين لك، حركت في داخلي واعز الخير وعدة اشياء اخرى وقدرت ببساطتك وعفويتك وطيبة قلبك وصدق كلماتك ان تنزع الشرّ والبغض والحقد والضغينة عن نفسي، اهنؤك على ذلك وافتخر بك واقربك مني اكثر.

- انا اعتبرك مثل اخي الاكبر ومعزتك عندي زادت على المألوف وربي يزيدك من قوة الايمان.

- اعلم يا "جرالو" انت اليوم من ضيوفي وستفاجأ ...

- انظر، انظر ما هذا، انه خلق كثير، انهم قادمون اليك يا سيدي، استرها يا رب !

- ها، ها، ها...، هذه المفاجأة الاولى، هؤلاء الفلاحون جاؤوا بطلب مني ليأخذوا البذر.

- والمفاجأة رقم (2) اثنين.

- اما الثانية فسيشهدون على اعلان خطبتك لابنتي "سارة"

- سيدي لكن ...

- لا عليك "اللي خطبك عزك" وصابة هذا العام هي مهرها .

- واعلم ايضا انها وحيدتي وكل شباب المنطقة يتمناها. ولكني اخترتك لها لتحميها وتحمي ثروتها وهي مثلك خلقا واخلاقا وطيبة ...

* * *

- انها رائعة يا ابي، من التراث لكنها حية وعميقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- يا بني ان الافراد والجماعات لا بد ان يتعاونوا على تنمية الانتاج.

- وهو كذلك ، لان التعاونيات والمصارف البنكية تمدهم بالقروض الموسمية والطويلة المدى لتعمير الارض.

- ومن اين لك بهذه المعلومات، كنت اظن انك لاتدركها !

- ايه ... ايه ... يا أبي وجرارنا هذا !؟ اتظن اني لا اعلم مصدره ؟

- لهذا انا حريص على اعانتك حتى تقدر ان تسدد الدين في اجله، واعدك اني ساكون مثل "جرالو" اخلاصا وعملا وصلاحا.

- كم كنت بارا بوالديك ! بورك فيك ...

ايقاعات الهزيع الاخير من الوجد...

شعر : فوزية علوي

... من ! ؟

مابالغريب الطرق ! !

وفد البريد ؟

دفق الوريد ؟

شهق المريد ؟

إني عرفتك...../

ها بالضياء يستهل البرق...

أنت ! !

منّي انبجست

منّي خلقت

أهلا حللت

إفتح رتاج القلب وادخل....

لا يفزعنك الشوق

ساحة الرّوح مرشوشة بالوجد

تعطّري يا إمرأة بالشهد...

أنت ضيفي...

ذا سهادي فافترش ريش نعامه

ذا ودادي فاستق خمر غمامه...

أهلا

حياك

عطر هواك...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراك الليلة روحي ... ولست خارج الجفنين نائم

وافق ! !

ما باله الرَمح...

موجع ! !

لستوحدك...

عاشرته ذا الجرح...

نصب ! !

ذا غبار الطَريق على أهدابك غاف...

من عفَر أبواب الجنّة ؟

واجم ! !

من جمَد الماء في شفاه السواقي.... ؟

من سرق لون الحساسين الجميلة ؟

من سلب الورد بوحه وغرامه؟

يالبعدي... ! !

يالبعدك عنّي...

إنزل عن همومك...

دعه مهر هواك...

واقترب منّي...

ذي مروج من الزّمن المغبر ملاى.../

تظفر العنّاب/

واللّبلاب في انتظارك...

وتربي القمح/والاحباب/ لاحتضانك

ذا أريج ومطر...

دي نجوم وسمر...

ذي ظلال.... ذا نخيل...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذي مياه وأصيل...

دعه.... دع... يا واقترب منّي

حلّها خيمة وجد...

يا... كم طويناها....

وياكم شفّنا وله في القلب...

وجراحات رحيل...

حلّها خيمة وجد....

ذا وتد مكانه القلب...

ذي حبال من أهداب

ذاحنين وحداء وسراب...

* * * * *

ياكم بعدت.... ياكم براني الشوق !

ياكم تغيّرت....

من خطّ بأقلام الثّلج

على عباءة ليلك ؟

من بعثر درّي ومرجاني ؟

من بلاني ؟

من شرب الخمرة من دناني ؟

من داس سهول الورد في خدّيك ؟

من شقّق الدّيباج في كفّيك...

خذ ني إليك...

«كفاني من رحيلك ما كفاني»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبرقة

شعر :

علاّلة القنوني

طبرقة رأسي على كتفيًا
ومنها أشّم أريج يديًا
وفيها اذا ما خطوت خطايا
أرى الورد يسعى على قدميًا
وأسبح فيها ببحر الجمال
أكد من السكر يغمى عليًا
فما أعجب الضوء منها يطلّ
وقد أخفقته فجاء نديًا
بشعر اذا سرحته كساها
فتبدو بغيم كنجم الثريًا
فلا تبصر العين الا شعاعا
فيجعل ما بان منها حفيًا
وتغري بثوب الحياء القلوب
فتبحث في الجسم فيها مليًا
عسانا نرى ما بها قد تخفّى
فتردي العيون عذابا شهيا
فكل بها بارز مستتير
وكل بها قد تخفّى جليًا
قريبا بعيدا كشمس تبدّت
لنا النّور منها يضيئ المحيًا
لذلك أمشي بها كالسّراج
اذا شعّ ليلا فمنها عليًا
طبرقة مريم دون زواج
من الحسن أعطت رسولا نبيا

له معجزات تذل العقول
وكلّمنا منذ كان صبيا
فلا عجب ان تراها تطلّ
برأس عليّ تحدّى العليًا
ولا عجب ان ترى البحر يجري
على قدميها سعيدا سخيًا
ولاعجب أن ترى النّار صارت
لصدر الصبايا بسحر حليًا
سطعن بمرجانهن أحمرارا
كأن بفجر طلين المحيًا
ولاعجب اذ ترى الفاتنات
بظلم الجبال ظلمن البريًا
طبرقة هزّت بجذع النجوم
فأغرقت الكون حسنا بهيًا
وفي تونس هي عين تشع
وما أجمل العين تخضرّ ريًا
وما أجمل الغاب فوق البحار
يميل اليها فتطويه طيًا
لقاء لبحر وغاب وشمس
أخ في وفاء يؤاخي أخيًا
فمن كان يهفو لجنّة عدن
اذا كان في الناس عبدا تقيًا
فلس له مثل هذي الرّبوع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبرقة جنّة من كان حيًا
فمن تحته الماء يجري زلالا
ومن فوقه الثمر يزكو شهيا
وبين يديه يرى الحور تسعى
وكم تسعد الحور عبدا تقيا
خدود لهنّ تفيض أنتشاء
فيصعقن لايرتكبن دويًا
ويقتلن بالصمت والصمت عاد
وكم كان قتل المحب خفيا
طبرقة زان اذا ما هجعت
ورمنا الظلال ولحنا شجيًا
وفرنانة الطول والاعتلاء
بها ننظر الجذع عزما أبيتا
وريحانة الحسن والعطر شاد
عروس تضوّع ريحا شذيًا
وكم للطيور بها من غناء
يلين الغليظ وينسي الشقيًا
وكم للجناح علو وتوق
وكم كان ضدّ الطيّور عصيًا
كذاك الطيور كمثل الجبال
كمثل الّرجال أحبّوا العليًا
ومن لم يكن قمة في رؤاه
فلن يكسب العمر مرأى جليًا
كذاك طبرقة سكنى الجبال
على الشمس تغفو سباتا سنيًا

وان نهضت نهض الحسن فيها
كما ينهض البحر موجا عتيًا
كما ينهض النور عين الغفاة
كما ينهض الفجر وردا نديًا
طبرقة رأس على كتفيًا
وعطر شذيّ يصبّ عليًا
وعزّي وفخري اذا ما أنتسبت
وأثمن كنز يصان لديا
فقل لي : من أنت عند السؤال
أجبك : طبرقة منّي إليًا
وأنّي لها منذ كنت وليدا
ولولا صداها لما كنت شيًا
وقل : من عشقت : أقل ذات نور
اذا الشمس غابت تجلى الخفيًا
وقل ما الوفاء : أقل إن أراها
وأن أخلص الحبّ مادمت حيًا
وقل : ما الجمال ؟ : أقل : عبقري
إلاه بها خلّد العبقريا
فجاءت طبرقة بسمة رب
بها كان في الخلق ربًا حفيًا
فقلدها بالذي لم يهبه
وميّزها لم يزدها سميًا
فكانت وحيدة حسن فريد
لرب بهيّ أحبّ البهيًا...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنويعات عن القلب

شعر : فاهم منصوري

-1-

هدأت
وشمس الأصيل تمدّ خيوطا من الدفء -وردية-
في دماي
كثافة ظلك تهجرني دفعة واحده
أيداي
هما الشجر ؟
سأقول : انتظرتك عمرا طويلا
وأنتظر
سأقول : أحبك
أو أشتهي ظلك
سأقول لك ما يدوزنه الوتر.....
..... أنت هناك

-2-

مرة
غادر القلب ليل المدينة محتفلا بالمواجع
مستسلما للرياح
مرة
قلت للقلب حرفا
واسماعهن
فأغفي، على «أ»
مرّةمرّة
كم مرّة يصبح القلب منفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-3-

هكذا

رحلتي بين أشياءهن

وكأسينمختلفين

ووردة

هكذا

حينما اللّيل يأتي

وليست تجيئ

وإذ غابة من نساء تضيئ

تضيئ

تضيئ

أواعدني

ثم أطفأ وعدا

هكذا يصبح الحبّ

كأسين مختلفين

وبعدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الشعر العالمي

موسم السلم الوهمي

قصيد : **ديريك والكوت** *

تعريب : **عثمان الجلاصي الشريف**

عندئذ كل شعوب العصافير مجتمعة رفعت
الشباك الكبيرة لظلال هذه الارض
في وفرة لهجات وزقزقة ألسن
عاقدة في تقاطع كل خيط... انها ترفع
ظلال الصنوبر العالي على هضاب دون مسارب
ظلال الابراج البلورية في أنهج المساء
ظل نبتة هزيلة على حافة نافذة في المدينة
الشباك ترتفع في صمت وسط الليل، صامتة صيحات
العصافير في النهاية.

لم يعد ثمة شفق، موسم، انحطاط ومناخ
لاشيء سوى انسياب نور وهمي
لا يقدر ارق ظل ان يتجاسر على قطعه
الرجال لا يرون وهم يرفعون الابصار ما الذي يسحبه
الاوز البري
ما الذي تجره السرانيف خلفها في شكل ضفيرة فضية
تتلمع تحت الشمس الجليدية، لا يستمعون
الى فيالق الزرزور وهي تصارع في صيحات مسالمة
رافعة الشباك الى أعلى، مغطية هذا العالم
مثل كروم بستان أومأ ساعة تسحب
الستر الشفاف المرتجف عن عيني مرتعشتين
بطفل يغالبه النعاس...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنـــه النـــور

الذي نراه عند المساء على سفح هضبة

في أكتوبر الاصفر، وما من أحد يستمع اليه ويعرف

أي تغيير طرأ على نعيق الغراب

الصحة الناقبة للزقزاق ، غراب الزرع في طيرانه الجمر

العناية الفائقة والكامنة

بالحقول والمدن وطن العصافير

والا ما عساه يكون مرورها الموسمي، الحب

وهم دونهم يتقاسمون صفرا مظلمة في زجاج

المـنـــازل

وبأصواتهم الهادئة يرفعون الشباك الى أعلى

فوق كل تغيير، فوق جنانات كواكب أفلة

هذا الموسم لا يدوم سوى هنيهة مثل الاستراحة

بين الشفق والظلمة، بين العنف والسلم

لكن بالنسبة لارض اليوم فانها ستعمر طويلا

---

* *ديريك والكوت الاديب المحرز على جائزة نوبل للاداب لسنة 1991 وهو من ترينداد ويدرس باحدى الجامعات الامريكية.*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مساحة أخرى للدهشة

***

طويلا ..

عبطت فؤادي ..

أقد قصبدا بهل

ليترعني بالصبابه

شنقت الحنين وأضرمت ..

مهجة حبي ..

ليحرق فقر ويهتز بابه

ليثاقل العصر في فتحه ..

للبياض المسربل

بالدهشة المستراب

قليلا أطل ..

تعللني قبلة من توحد قيظي

بسنبلة في هجير الدعابه

قليلا ..

يمسح روحي جناح السلام

يخضب كفي عزف الربابه

قليلا ..

تعود تمشطني وردة ..

في ربيع البلاد ..

تنادي : بصبحك العرس

بعني اعتذابه .

شعر : عبد الفتاح بن عمود

*-القصيدة منحصله على

على الجائزه الثانيه في مهرجان

سعيد أبي بكر بالمكنس

- سبتمبر 1992 -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القـــــــدوم

من فتى الفتيان هذا المنجمي *- إلى منير هلال

جاءكم من جنوب البلاد !

حاملا قلب نبي

ومواويل غناء ،

ماحيا كل تواريخ الفجيعة

أزهر الوشم بخد يه

سماء عربية ، عربية ! عربية ..

***

يا بلادي ،

هذا فتاك يصحو من رقاد

جاء من أرض المناجم

ليغنيك أنتصارا وقضية

ويناجي طيفك المرسوم

في لوحة فنان وشاعر !

***

هو ذا الحلم مخاض اللاهثين

ظفر العصر

أنتصار الجائعين !

شعر : علي السعيدي

(إبن أم العرائس)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغروب

فوق هاتيك الروابي
هل سمعت الطير تشدو

قد بدا سحر الغروب
من دعاها للإيـــــاب

بين أهداب الغمـــام
وحمامات تغنـــــت

تلمح الشمس تذوب
فوق غصن بآنتحـــاب

تتوارى فـــي دلال

***

مثل غيداء لعـــوب
والخراف الغاديـــات

هالها حزن المســـاء

فالمروج الخضر صارت
أسرعت سير خطاها

في آحمرار كاللهـــب
تملأ الأفق ثغـــاء

والتلال الشامخـــات
أقبل الليل مخيـــفا

في رداء من ذهـــب
فأنقضى نور الفضاء

والأعالي في سكـــون
وغدا الكون ظلامـــا

يبعث فينا العجـــب
دون سحر أو بهـــاء



شعر : فتحي الحسني - دقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكـــرا ...لكـــــم

شعـر: الهادي العبدلي

شكرا ... لكم
شكرا ... لكم
شكرا جزيلا
قد تعودت الجفاء ،
ووحدتي ،
عمرا طويلا ...
شكرا على هذا الأرق
ما كل ما عشنا
لقانا ، أوهوانا ،
حبا عميقا ،
لو صدق ،،،
....*
شكرا على كل التهاني أحبتي :
شكرا صديقي ،
كم وزع الساعي بريد
كم من بطاقات جميلة
ورسائلا حبلى ورود
تاهت وأعياها طريقي !!
....*
شكرا ... لكم ،
أف إلي ،
فات عمر لو يعود
متعب دوما بقربي
مولع دوما بصبري

شاكيا ،
أو باكيا ،
أبدا شقيا !!
عبثا صدقي ما أريد
....*
شكرا لكم ،
شكرا ... لكم ،
ألف شكر ...
كل عيد ،
قد كان من الدمع ،
ساذجا هذا الأصيل
لو لم نكن ،
هذا القصيد
لو لم يكن ،
هذا الألم
ما عادني الليل
الطويل
وعاد يدعوني القلم
شكرا لكم ...
شكرا لكم ...
شكرا على هذا الألم !!

{ 24 مارس 1993 }

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حضورالرموز الأندلسية في "اخبار البئر المغطلة" للشاعر علي اللواتي

بقلم : **الازهر النفطي**

أجزاء متفرقة من سفر اندلسي من صفحة 53 الى صفحة 83 في كتابه "تاريخ المغرب والأندلس" الصادر عن مطبعة الروضة - دمشق 1981-1982 لاحظ الدكتور احمد تبرز استاذ قسم التاريخ بجامعة دمشق. إن امارة الأندلس مرت بمرحلة حرجة في عهد عبد الله ابن محمد ابن عبد الرحمان الثاني او الاوسط (888-912 م)، اذ قامت ثورة عارمة للمولدين قادها ابن حفصون عندها ظهرت دويلات صغيرة مستقلة اجبرت الامير عبد الله على الاعتراف بها مقابل مبالغ مالية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الشمال وقرب جبال "البرانس" كان الاسبان يتربصون بامارة الاندلس ويتوسعون على حساب الثورات والانقسامات العربية حتى وصلوا نهر التاجة، ولم يستتب الامن الا في عهد عبد الرحمان الثالث الذي حكم امارة الاندلس نصف قرن من الزمن (300-350 هـ) فأرسى الاستقرار واخمد ثورة المولدين وقضى على ابن حفصون ووحد الاندلس من جديد.

من سنة 422 الى سنة 484 هـ ظهرت دول الطوائف وهي امارات صغيرة لم تعمر طويلا اذ تجاوز عددها الخمسين امارة في تلك الحقبة، ففتحت بضعفها وانقسام امرائها على انفسهم الباب على مصراعيه امام الاسبان، كذلك لم نغفل دور المرابطين والموحدين في تلك المرحلة...

هذه الاسباب المشحونة بالفتن والضغائن والتكالب على اللذات ادت الى سقوط "غرناطة" بيد الاسبان في ربيع الاول 897 هـ - 1492 م :

قلنا : يا مولاي لا تأس علينا

سعدك الباذخ ولى

فابتئس انت، لانت اليوم اولى

بدموع الغيم والنعي الكبير

بين رسم اليد، يا ذا الحزن، والمفتاح لم يبق

سوى رأس الامير.... اليـد والمفتاح ص 61 .

هذه المرجعية التاريخية هي الريم الذي انبثقت منه قصائد "أجزاء متفرقة من سفر اندلسي في اخبار البئر المعطلة"... في فضائها يتحرك الشاعر وعن رموزها يتكلم، فالرمز يشحذ الذاكرة ويذكي جمرة المخيلة.

سنقف عند وظائف هذه الرموز الاندلسية لقراءة حضورها في نصوص شعرية معاصرة باعتبارها شاهدة على عصرها.

من الناحية المنهجية حددنا عناصر هذا البحث في اربعة محاور رئيسية :

أ - مكونات المجموعة

ب- نقل الصورة الاندلسية ومحاكاتها عبر الفواصل الزمنية.

ج - مفاتيح الدلالة لفهم مسار الوظائف المركزية لرموز هذه النصوص الشعرية ومصادرها.

د - حضور المرأة في هذه القصائد.

قد نتناول قصيدة لنكتشف كيف تعمل واخرى لنرى كيف تتواءم مع المشروع العام لتطور مؤلفها كشاعر وثالثة لنرى كيف انبعثت افكار الشاعر او خيالاته ورابعة لنتعلم او نتأكد من شيء ما عن الثقافة او العصر الذي كتبت فيه القصيدة : دافيد بشنبدر في كتابه "نظرية الادب المعاصرة وقراءة الشعر" ترجمة الدكتور مقصود عبد الكريم - عن مجلة العربي العدد 405 ص 207 .

هكذا طالعتنا مجموعة " أخبار البئر المعطلة" للشاعر علي اللواتي الصادرة عن الدار التونسية للنشر في جانفي 1986 بوظائف مركزية من وظائف قصائد الديوان تحتلها رموز تراثية أندلسية لم تمنع الفواصل الزمنية الشاعر من استحضارها واستدعائها من اسوار "سلا" وقصور "غرناطة" ومآذن "قرطبة" وأسواق "إشبيلية" وأعمال "قشتالة" وميادين "طليطلة " وساحات "الحمراء" لتكون شاهدة على عصرها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أرجفت قلبي قلاع غائصات
في بحار الدم تعلوها النواقيس
وتأكلها الحرائق... فلنعد
اني رأيت على المياه غطاء رأسي...

جارية ابن عباد ص 69 .

فبماذا يفتدي غرناطة اليوم، بثوب
أم بقلب
ام بوجه
في جموع الغرباء....

-القربان الصغير صفحة 73 .

مكـــونـــات المجمـــوعـــة

صدّر علي اللواتي هذه المجموعة بقوله :

قصائد نفضت عنها الغبار فاذا هي تحدثني باشجانها القديمة واخرى لا تزال تحمل اثرا من مخاضها القريب.... فان صادفت تلك الكلمات هوى في نفسك او اوقفتك على دلالة او رؤيا فذلك لان الشاعر يشهد معك على عصر واحد وقد تنعكس بعض رؤاك في أبياته العابرة... (تونس في 1982/10/05).

تضم المجموعة بين دفتيها اثنين وعشرين قصيدة نقرأمن بينها : الزّمن والعودة - حـين تصـــفرّ اوراق الـــعـــنب -أغنية من وراء النّهر... أفرد فيها صاحبها فصلا عنونه بأجزاء متفرقة من سفر أندلسي تمسح نصوصه الشعرية الاحد عشر نصف الديوان (من قصيدة منفى ابن الخطيب ص 53 الى قصيدة الرؤيا الاخيرة ص 83).
نقرأ من بينها :

الخنجر الضائع - البحرة - اليد والمفتاح - باب الخمر - الجرية المتجردة - جارية ابن عباد - القربان الصغير - ابو الحسن والنصرانية... الغاقة العائدة - الرؤيا الاخيرة.

وقف علي اللواتي عند هذه النصوص الشعرية التي كتبها بصيغة تاريخية مخصوصة اتاحها ما انجزه الفعل الشعري المشترك بين الماضي والحاضر عبر تمثل فردي محض، وذلك الفعل الشعري المنجز يقدم ذاته او يعلنها في صيغة بناء من الصور التركيبية، وقف اللواتي عند هذه القصائد واتخذ منها ملاذا للاعلان عن الذات وسط عتمة الاستلاب والانفصام والتمزق والفوضى والدسائس والمؤمرات التي سادت امارة الاندلس وادت الى سقوطها بيد الاسبان سنة 1492 م.

لو يعود الشاطبيّ وابن حزم

والفقيه السرقسطي اليكم

ماتراكم فاعلون ؟

ما ترى (لو انهم من موتهم عادوا)

يقولون وقد

أنبأهم سكان غرناطة يوما

ان اولاد بن نصر تركوا

للخمر بابا

أدخلوا للقلعة الخصيان منه

والقحابا ؟

باب الخمر ص 63 .

من منطلق هذه الازمة التي لا تنفصل عن الوجدان الجمعي ولا تتباعد عن الحياة الفعلية بسبب ارتباط الشاعر بكتابة شعرية ثائرة على ماض كئيب، كتابة تحمل في طياتها انساق الرموز الدلالية المأسسة على منظومة الرموز الاندلسية، كتابة تخلق المناخ النصي الامثل لجعل المتلقي يواجه اشتراطات كينونته المخصوصة. هذه الانساق الفنية من الكتابة تطرح بحضورها داخل مضامين القصائد جملة من الاسئلة الحارقة للبحث عن حضور التراث في هذه المجموعة الشعرية والكشف عن افادة الشاعر من اقتفاء اثر الرموز التراثية الاندلسية وتوظيفها في نصوصه الشعرية في زحم محطات تطور التجديد :

- هل واكبت " قصائد"اجزاء متفرقة من سفر اندلسي "هموم الكتابة الشعرية الحديثة ؟

- أم بقيت رهينة دائرة النقل والمحاكاة ؟

- ما هي الحدود التي تقف عندها علاقاتنا بالتراث لتحقيق الجمع بين جذور الماضي ومكونات الحاضر ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- وماهو الادب بالنسبة للتراث : أهو محاكاة له، او ممثالة او تقليد : أم هو انعكاس ، ام استبدال مواز ، ام تغاير مواز ؟؟!.

ومالمدى الذي يجب ان نندفع اليه في تجديدنا وتطويرنا لهذه المادة التراثية الخصبة والثمينة الصالحة لخلق قيم جديدة من صلبها باعتبارها في هذه النصوص الشعرية التي نتناولها بالبحث والقراءة جزءا لا يتجزأ من الاثر الابداعي المكتوب ؟

أسئلة على غاية من الاهمية تستدعي الاجابة عنها اقامة العديد من الندوات والملتقيات نظرا لما تثيره من قضايا واشكاليات ولا نزعم تقديم اجوبة قاطعة عنها تشفي غليل المتلقي لكننا نختصر هذه الاجوبة عند مشاطرتنا لرأي الدكتور عبد المحسن طه بدر القائل : ان الابداع كالكائنات يخضع لسنة التطور فيبدأ من ادنى درجات السلم موضعا ورتبة ويظل يصعد متدرجا درجات سلم التطور مستفيدا من التراث الى ان يصل اقصى درجات الاكتمال موضعا ودقة وقيمة على السواء... (كتاب التطور والتجديد في الشعر المصري الحديث صفحة 153) هكذا تكون التجربة الشعرية بما لها من خصوصية في كل عمل شعري هي التي تستدعي الرمز القديم لكي تجد فيه التفريغ الكلي لما تحمل من عاطفة وفكرة شعرية، والنص هو وسيط نقل التجربة الحيوية بين منشئه ومتلقيه :

صفرت ريح على الابراج من
شارات رندة ارجفتني
وحثت حزنا على رأسي وثلجا
وطيورا نازفات من رؤى الموت
وأنياب الصخور

- اليد والمفتاح ص 61 -

لم يعد في غبش الخدر يرى
ألوية الموت على الاسوار تمشي
وعلى نهديّ غرناطة تدعما...
فاقرعوا الاجراس في اعمال قشتالة
اني اخدم الرب بغيا

- أبو الحسن والنصراينة ص 77 -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هكذا تقترن مرارة الشاعر واحزانه بماضي شبه الجزيرة الايبيرية وبرموزها الذين طردوا منها عند سقوطها بيد الاسبان بعد زهاء ثمانية قرون من الحضور العربي الاسلامي فكان الشاعر والامارة وسكانها المطرودين منها عبارة عن توأمين او كأنهم الوجه والقفا لعملة واجدة :

النهاية يا بن نصر

مثلما عشت تموت

ملكا في البحر مرهوبا

وفي بيت السكوت

رأسك المحنية اليوم محال

يا ابن نصر تفتدية....

- القربان الصغير ص 73 -

في هذه المواضع من النقل والمحاكاة والتماثل وتجسيد الحدث عبر سياقات القصائد ضمن مدار مباهج اللغة والاحتفاء بها بالعودة الى مرجعية تاريخية تم تدوينها منذ خمسة قرون من الزمن (1492 == > 1981 وهذا الاخير تاريخ كتابة القصائد) لغاية استغلالها باستحضار الرموز التراثية الاندلسية لنحت تجربة شعرية حديثة لها مواصفاتها ومكوناتها : عند كتابتها الغى الشاعر الفواصل الزمنية بين الماضي والحاضر وكسر الحواجز القائمة بين الحي والجامد والناطق والصامت، في هذه المواقع تتحول سياقات الاحداث والوقائع التاريخية من مرجعية بطون المتون والمعاجم والكتب والمذكرات والرسائل بثوبها الاندلسي القديم عبر جسور اللغة وسيميائها الى اطر معاصرة تساعد الشاعر على صياغة نصوص شعرية حديثة تكشف دلالاتها عن حالة الصراع العنيف القائم في ذات الشاعر بين الرغبة الملحة في الاعتبار من نكسات الماضي وهاجس الخوف من الاتي وهي ثنائية اساسية في قصائد "اجزاء متفرقة من سفر اندلسي"، وظيفة هذه الثنائية المركزية في القصائد المذكورة هي بمثابة الرحم لتجربة علي اللواتي الشعرية اذ تصور الحالة النفسية للشاعر ومدى وقعها على انجاز الفعل الشعري منفى التفاصيل :

"فالنص الابداعي عليس موضعا ولكنه عمل واستخدام وليس مجموعة من

الاشارات المغلقة المحملة بمعنى يجب العثور عليه ولكنه حجم من الاثار التي لا تكف عن الانتعال .

رولان بارت كتاب (L'avantueure sémologique p 13 ED seuil Paris 1985)

ان ضحكنا فلأمر

او سكرنا فلنا في سكرنا عذر وقد

أذهلنا الصحو واوردنا الغيابا

نلبس الوهم ونبلو خدع الليل

ونقتات السرابا

- الرؤيا الاخيرة ص 83 -

هكذا تنتقل هذه النصوص الشعرية المكتوبة بين خريف وشتاء 1981 من مرحلة الخطابة الى مرحلة الكتابة ومن مرحلة الانشاد والتطريب الى مرحلة الكشف والاستفسار فيها اصبح الرمز مشحونا بدلالات نفسية، موسوما بنار التجربة فهو يحيل المتلقي على علاقة الشاعر بالرموز التراثية الاندلسية المتحركة بكثافة داخل قصائد "أجزاء متفرقة من سفر اندلسي"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما ترى لو ابتني عشا على

الصاري والمضي بينكم

ضحكوا في الليل منها وأشاحوا

قد كسرنا كل الواح السفين

- الغاقة العائدة ص 81 -

مفاتيح الدلالة لفهم مسار الوظائف المركزية للرموز :

"اعلم ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم..."

ابن خلدون عن الفصل 46 من المقدمة

تأسس الخطاب الشعري لهذه القصائد على جسّ تاريخي اتسم بمذاق غنائي

شفيف، فهو تناص مع المرجعية التاريخية مصادرها الخصبة تجاوز من خلاله علي اللواتي عقدة التغني بالماضي لتضميد جراح النكسات ودخل دائرة قراءة السلبيات وما افرزته من نتائج وخيمة ساهمت بقسطها الوافر في سقوط امارة الاندلس بيد الاسبان

اي رؤيا سمرت عينيك في

الافق وما يلهيك

عن وجه الخليلة...

قال لي :

"يوجعني النور الذي يوسع

عينيك فاغضي

كلما اغرقت فيه

لحظة من عمر غرناطة تمضي..."

-الخنجر الضائع ص 55 -

يرى جاكوبسون في حديثه عن مرجعية الخطاب الابداعي التي اشار اليها في كتابه" Essais de linguistique generale p 209" ان مدار الامر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام...

"فباي شيء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"... الجاحظ - كتاب البيان والتبيين ج 1 ص 76 على هذا الاساس، يمكن فهم الفعل الذي يربط بين الدال والمدلول عند قراءة الفصل الخاص "باجزاء متفرقة من سفر اندلس" في مجموعة "اخبار البئر المعطلة" بالتوقف عند مجموعة من اسماء الاعلام وقائمة من اسماء الاماكن وجملة من الكلمات المحورية وطائفة من الاسئلة المركزية وجملة من افعال الامر استحضرها اللواتي من معجمية الحضور العربي الاسلامي بالاندلس فطرحت بحضورها وتواترها بكثافة في القصائد حالة التمزق والانفعال والكئابة التي عاشها الشاعر عبر الفواصل الزمنية من خلال الجمع في قصائده بين الحاضر والماضي في ضفيرة واحدة، ويتعلق الامر بالعناصر التالية :

* الكلمات المحورية :

لدى معاشرتنا لهذه النصوص الشعرية قمنا باحصائية وثائقية للبحث عن مفاتيح الدلالة في هذه القصائد فوقفنا عند ذكر اكثر من خمسين اسما علما تم توظيفها في العديد من المواضع نذكر من بينها بالاسم او بالصفة

أسماء الاعلام	
- الشاطبي - لسان الدين ابن الخطيب - المعتمد بن عباد - ابن حزم - الفقيه السرقسطي - ابو الحسن بان نصر - اولاد بن نصر	- ثريا جارية ابي الحسن ابن نصر - عبد الله ابن نصر - سكان غرناطة - عسس الليل - الندامى - النخاس - الملك - الجند...

كما وقفنا عند مجموعة من اسماء المدن تواتر ذكرها بكثافة في قصائد هذا الفصل:

أسماء المدن
- سلا - غرناطة - إشبيلية - قشتالة - الحمراء - طليطلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما وقفنا ايضا عند مجموعة من اسماء المعالم الاثرية

أسماء المعالم الاثرية	
- نجد السبيكة	- الاسوار
- وادي الحدرة	- السواري
- الابراج	- الاسواق
- القصور	- نجد السبيكة
- البلاطات الجسام	- برج السلاح...
- القلاع	

تنضاف اليها ذكر اسماء للاشياء من ثياب ومتاع في سياقات **القصائد**

أسماء الأشياء من ثياب ومتاع	
- البرد	- السّيف
- الخمار	- الاصداف
- الوشاح	- اللآلي
- التاج	- المشاعل
- الذهب	- القناديل
- العقيق	- البخور
- الطيب	- السدة
- الرحيق	- الصدرة
- السّبائك	- الخمر
- الدر	- الكأس
- الخنجر المرصّع	

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الطاسات
- البربط
- الربابات
- المرايا
- الرخام
- النواقيس
- الصليب...

وفي خط متواز وعلى نفس الجدول قمنا برسم قائمة من الاسئلة المركزية الواردة ضمن سياقات القصائد تشكلت اطروحاتها من ادوات الاستفهام التالي :

الاسئلة المركزية	أدوات الاستفهام
- من ترى اقعدني عنها ؟ - ماالذي في هامة الشارت تشتاق اليه ؟ - اي رؤيا سمرت عينيك ؟ - مايلهيك عن وجه الخليلة ؟ - كيف يقضي الليل مولايا ببرج في نهايات الطريق ؟ - كم تخاريم كستها ؟ - لو يعود ؟ - ماتركم فاعلون ؟ - من منا الملوم على الفراق ؟ - هل لما تكتب الايدي على القلب سبيل ؟ - من اذا يبصرني بسوق اشليلية ؟ - فبماذا يفتدي غرناطة اليوم ؟ - هل تذكرت النجائب ؟ - ما ترى لو أنبأهم ؟	من =› في 3 مواضع ما =› في 5 مواضع كيف =› في موضع واحد اي =› في موضع واحد كم =› في موضع واحد ماذا =› في موضع واحد هل =› في موضعين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الاسئلة المركزية تتناغم داخل قصائد المجموعة مع جملة من افعال الامر (انظر في الجدول)

أفعال الامر
- فاضربي يا يرح الواحي
- حدثي قلبي باشواق الشنيل
- حدثيني كيف يقضي الليل مولايا
- خذوني، فاقتلوني
- فاقرعوا الاجراس في اعمال قشتالة
- اكتبي الذل على ذاك الذي ينهى ويامر في الوقاقز والقنان
- أرسلوني اتيكم بالغض مخضرا
- فاحصري الرغوة عنها
- عاودي قدح المرارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتدلنا على مدى انسجام اجزاء هذا الاثر الابداعي وعلى كيفية توارد عناصره التكونية كما تشكل بتماسكها ما سماه حازم القرطاجني "بالجملة الكبرى" اين يكون النص فيها دالا ومدلولا خالصا لزمنه الخاص ودائرا مع زمن المتلقين في كل العصور.

ايها المبحر فجرا نحو اندلس تمثل

قد تعجلت حمامي

حملت مني، هوى، ما حملت في البحر

أصداف لاليها وما

اثمرت الاشجار في روضي عتيق

- جارية بن عباد ص 69 -

هكذا قطف علي اللواتي من مباهج اللغة المعتقة ما طاب له لكتابة نص شعري مسكون بحضور التراث وسعى عبر جسور الجمل الشعرية القائمة على الحـــــوار

والومضة السنمائية (Flach Back) والصورة الشعرية والاسئلة الحارقة وافعال الامر... سعى الى بلورة مضامين قصائد الفصل الخاص باجزاء متفرقة من سفر اندلسي وافرغها في صلب الشعور الجمعي، كما عمل على استثمارها في كتابة قصائد شعرية حديثة بادوات فنية لغاية خلق وظيفة جديدة للتراث في النص الشعري المعاصر فيها تبدو القصيدة التونسية صادرة على تحقيق الجمع بين جذور الماضي ومكونات الحاضر باتساعها لاستيعاب وظائف تراثية تنصهر في صلبها.

"انني اعشق فاقتنص واقدم ذلك لاجدهم" شار - ديوان "احفاد الفجر" صفحة 68

حضور المرأة في أخبار البئر المعطلة

فتق الشباب بوجنتيها وردة في فرع اسحلة تميد شبابا
وضحت سوالف جيدها سوسانة وتوردت اطرافها عنابا
بيضاء، فاض الحسن ماء فوقها وطفا به الدر النفيس صبايا

ابن خفاجة عن الخيال الشعري والمرأة في رأي الادب العربي
(محاضرة الشابي : الخيال الشعري عند العرب سنة 1929 ص 89)

للمرأة وظيفة مركزية في هذه النصوص الشعرية بحضورها المتواتر بكثافة في مواضع عديدة من ابنية القصائد اين ورد ذكرها عشرين مرة بالاسم او بالصفة او بالوصف او في سياقات الافعال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ثريا : الجارية النصرانية	- المرأة
- اميرة	- النساء
- الخليلة	- الامة
- الحفية	- رخمة
- القهرمانة	- ممشوقة
- الجارية	- وجه مقمر
- السباي	ا- وجه نضر
- الصبايا	- جسد مر
- الغواني العربيات جامدة الوجه	
- فما تلقى من العز ثريا	أبو الحسن والنصرانية ص 77

ومضى جمع الصبايا يصطبحن

الكأس من حولي ويهرقن الطلى

مرّ دهر

مارأيت عيني باحداث الصبايا مثل

هذا الحزن" وامتدت يداها

- الجارية المتجردة ص 65 -

فهي بحضورها وخطابها المشحون بدلالات الغضب والتوتر والكبت وايضا بوظيفتها داخل دائرة العد التصاعدي والتنازلي (أميرة/أمة) تشكل العناصر البلاغية التي تقوم بالاشتراك مع العناصر الفنية والزمنية بنحت بنية الرحم الامومي المولد لقصائد اجزاء متفرقة من سفر اندلسي في مجموعة "اخبار البئر المعطلة" وهي بالتالي شاشة الحقل الدلالي للقصائد وقناة الايصال لمضامين رسمها الشاعر على الورق بالكلمات تحمل للقارئ اجواء امارة الاندلس في الربع ساعة الاخير من سقوطها بيد الاسبان

هذه اوزار ملك للاميرات العريقات

وليست للجواري...

واذا نادمته فلتذهب الاقداح

بينكما سراعا

طافحات مرة تخشى الوداعا

واحذري ان يذكر الصبح فيحزنه الصباح...

- الجارية المتجردة ص 65 -

هكذا تبدو المرأة بحضورها عنصر تثبت لدلالات المرجعية التاريخية من خلالها ترقى مضامين القصائد من وظيفة النقل والمحاكاة الى درجات سلم الكشف والدلالة وذلك عبر جسور الفواصل الزمنية بواسطة نص شعري معاصر

أغلق الصوت كتابي

وصرفت الصحب من حولي واشرعت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لريح الشارة كل باب....

- اليد والمفتاح ص 61 -

<u>ملاحـــــظات</u>

لدى معاشرتنا لهذه القصائد وقفنا عند جملة من الملاحظات تستدعي الاشارة اليها في سياق هذا البحث :

أ - المباشرة

احدثت هذه المباشرة بحضورها في قصائد تنخرط كتابتها في مدونة الشعر العربي المعاصر فجوة ملحوظة على مستوى الكتابة اين برز اثرها خاصة في تكرار الاستفهامات الانكارية التي تعرضنا لها ضمن التحليل وتواترها بكثافة في مواضع عديدة من القصائد وايضا في تركيز الشاعر على اسلوب من اساليب الكتابة الانفعالية الوضعية التقريرية السردية للوقوف بالقارئ عند اجواء امارة الاندلس وهي تسقط بيد الاسبان على مرعى ومسمع من أهل الامر والنهي فيها :

يا أميرا نفرت منه المروءات
وعافته الامارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- أبو الحسن والنصرانية ص 77 -

فامتلي يا نفس من وجع البحار
وعاودي قدح المرارة
ولتمت من دائها دار الامارة
ولتكن في الصبح غرناطة نسيا
وخلاصا من ضلالات
الامير العربي
فعلى كل كتاب فاسق
وعلى كل سرير علقمي...

- الرؤيا الاخيرة ص 83 -

وفي نفس السياق تبرز اعادة الاسطر الشعرية ذات المعني الواحد دون ان تشكل اظافة تذكر لمضامين القصائد وذلك في اكثر من موضع في النص الشعري الواحد.

أسرتني مثل بيت العنكب الزاهي
بذرات الندى

- البحرة ص 57 -

كنسيج العنكب الواهي
تمزقه الرياح....

- الحرة ص 57 -

ب - *اللغة* :

تعامل علي اللواتي بحميمية واحتفاء مع مباهج اللغة المعتقة ووظف في قصائده الفاظا تلزم القارئ بالعودة الى قاموس اللغة :

- تخاريم - الحيزوم - الشنيل - الحرة - المشور - البربط - الصاري

وبالتواز وظّف الشاعر المحسنات البديعية بالمزاوجة بين الجناس والطباق :
خليلة، كليلة - سرايا، مرايا - الزاهي، الواهي -جه نظر، وجه مقمر...

على هذا الاساس تكون اللغة في "اخبار البئر المعطلة" هي التي تحمل الرؤيا الشعرية وتحتويها وتمد الجسور عبر الفاظها ومكوناتها بين الباث والمتلقي.

ج - *النص الغائب*

لم نعثر لدى معاشرتنا لهذه القصائد على نص شعري واحد بين قصائد المجموعة يتناول اوج ازدهار امارة الاندلس فكل القصائد كما ذكر صاحبها في تصدير الديوان "تشهد معك على عصر واحد"

الكمنجات فوضى قلوب تجننها الريح في قدم الراقصة
الكمنجات اسراب طير تفر من الراية الناقصة
الكمنجات شكوى الحرير المجعد في ليلة العاشقة
الكمنجات تبكي على العرب الخارجين من الاندلس
الكمنجات تبكي مع الفجر الذاهبين الى الاندلس

محمود درويش
"احد عشر كوبا على اخر المشهد الاندلس"
الصباح الثلاثاء 3 نوفمبر 1992 الجمعة 27-11-1992